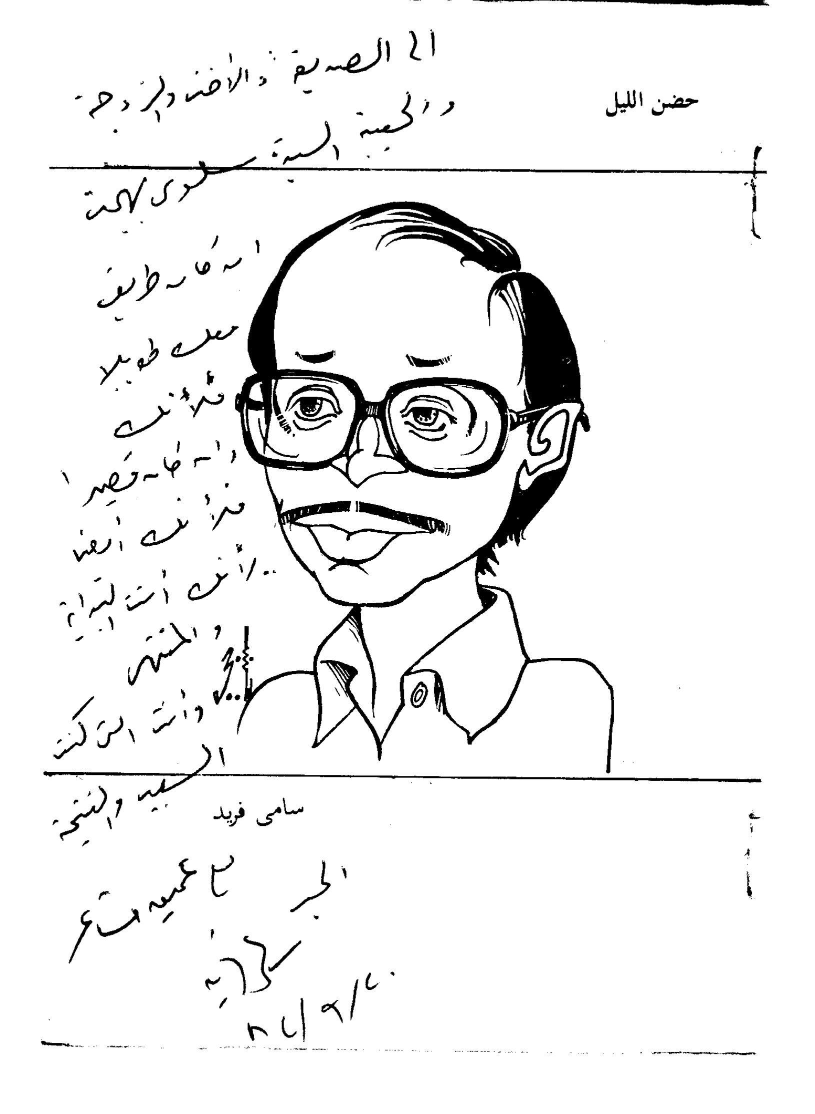
حضن الليل



سامى فريد

الرسوم الداخلية هدية من الفنان **على الحجار**

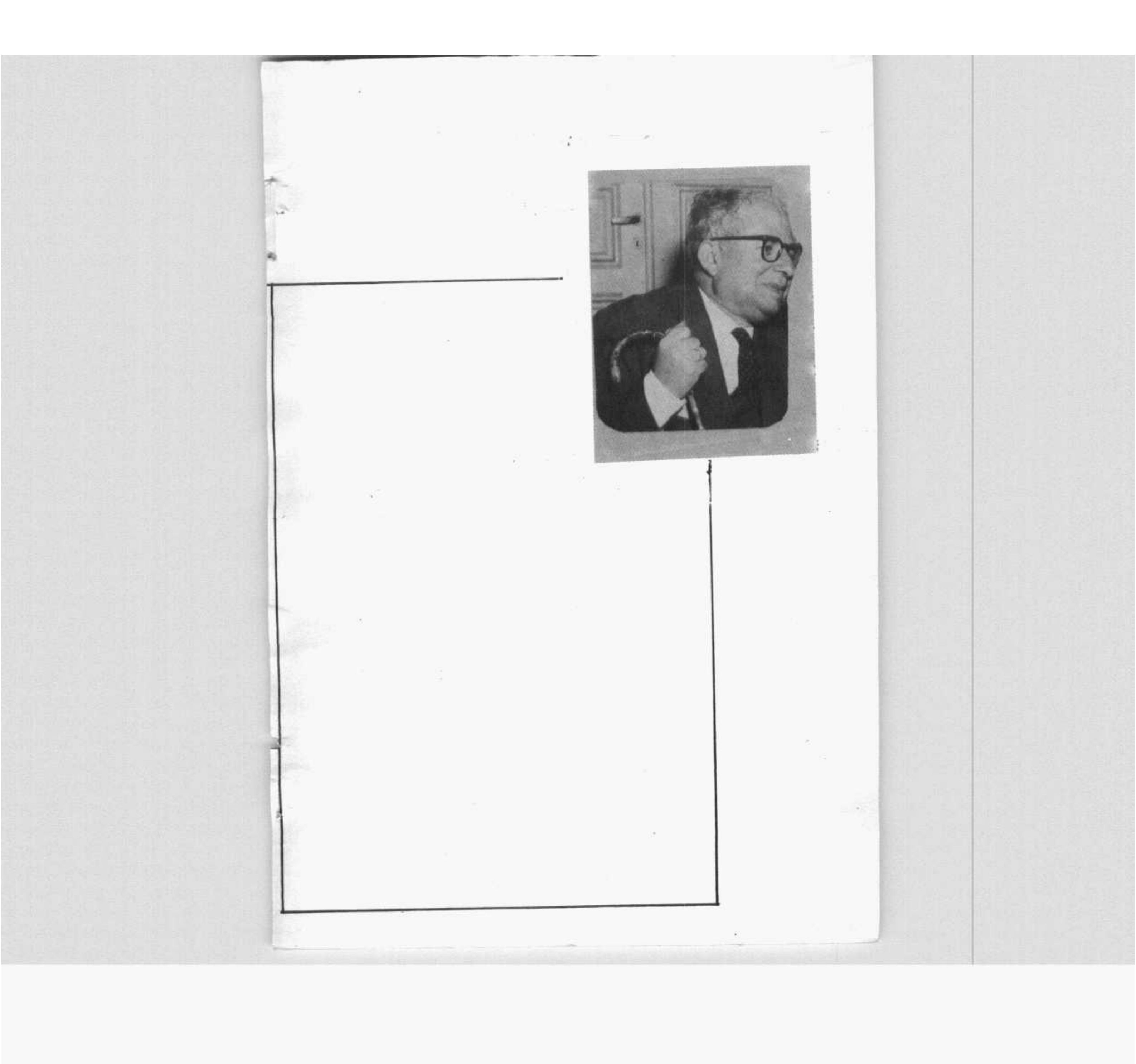
تصميم الغلاف هدية من الفنان **حسن وهبه**

اهداء

« الى طاقة الأمل .. وطريق مفروش بالنور
ومشوار طويل من الأحلام .. والرؤى ..
وعذابات التحقق »

« .. الى يحيى حقى .. حضن الأمل ..
أهدى حضن الليل .. »

المؤلف



مقدمة

للكاتب الكبير

يحيى حقى

ماالذى يغرى انسانا أن يقحم على الناس نفسه ليعرض عليهم مايدور فى رأسه ويقول أنا فنان ؟!

لامبرر له إلا إذا بلغ فنه هذا درجة من النضج ــ لانحا ها فى أنفسنا ــ تحملنا على الأنصات له والانتفاع والاستمتاع به ، فلا فن أن لم يكن وليد هذا النضج ، نضج العقل والروح والصنعة معا ، فالفن يتعالى عن الفجاجة وامشاق التمرينات وعثرات الحبو ، أنه يتطلب بلا حياء أمجاد الرفعة والكبرياء ، فإذا بلغها احتضنها بخشوع وتواضع ، هو حركة إلى أعلى لا إلى أدنى ، ليس ثباتا يختلط بالجمود ويشبه الشلل ..

آن الأوان لأن أسأل نفسى هذا السؤال :

ماهى القصة التى يعلق بها قلبى ؟!

هى باب من أبواب فن القول .. هى تعبير فنى ، الجمال غايته القصوى ..

هى التى :

تضيف جديدا بأن تكشف عن بعض جوانب النفس نحن فى غفلة عنها ، أو نراها ولانفهمها ، أو نفهمها ولانستطيع التعبير عنها ، كلامنا لايحيط بها ولايصل إلى أغوارها ويخلط بنها وبين غيرها ، تكشف عن مجال الطبيعة فى صورة جديدة من خلال رؤية إنسان فى موقف معين ، فى علائق بين الناس نمر بها ولاننتبه لقدرتها وحقها فى إثارة الانتباه ، بالعطف والرثاء ، بالسخرية والفكاهة ..

وهى التى تنقلنا من الصورة الجزئية المباشرة إلى المعنى الكلى وراءها

هى التى تكشف سريرة الأشياء كما خلقها الله لا كما تبدو للعين فحسب ، بزمان ومكان وموقف ، ولابد أن تتساقط نوافل التفاصيل تساقط نشارة الخشب من يد صانع الدمية .

وهى التى ننفذ من خلالها إلى روح الكاتب نفسه لنعلم من أى معدن هى ، ينبغى أن يكون لها كيان فذ لايتكرر .. روحه غنية أكثر من قارون ، لايفقرها البذل ، بل تتحدد عليه ، له أسلوبه الذى يميزه ، لو عثرت له على ورقة دون توقيع استطعت أن تعرف أنه هو الذى كتبها ..

هو اذن كاتب له مذهب حتى ولو كان قائما على الحيرة وحدها ولكنه يرتضيه لنفسه بطبعه وفراسته ودراسته وعدالته

ليفسر به الكون ومكان الفرد منه ، ولاضير عليه أن يتحول من مذهب إلى مذهب بعد ذلك ، وليس مطالبا بالطبع بأن يشرح لنا السبب ، ولكن لامفر من أن يكون له فى كل عمل مذهب تتجمع حوله آراءه ونظراته ..

وهى التى تأنف من الأنانية ..فلا تكتفى بأن الاضافة للعلم غاية فى ذاتها يتم بها كيانها ونفعها وحقها فى البقاء .. بل لاتترك هذه الغاية معلقة فى فراغ ولكن تربطها بهموم مجتمعها ..

فالكاتب أيا كان حقه فى التفرد انسان فى مجتمع ، هو مطالب قبل غيره بتثبيت ثقة هذا المجتمع فى نفسه وإيمانه بفضائله الأصيلة وقدرته على التقدم وتحقيق العدالة وتذوق الجمال ..

وهى الأنيقة المهذبة .. فلا تكون عامية الذوق فى اختيار مواضيعها وأسلوبها ..حتى فى معالجتها لظواهر العامية ودلالاتها .. بل حتى فى وصفها ومحاولة اعطاء صورة صادقة لها ، وليس معنى هذا أن الكاتب لايعنى بالقبح كما يعنى بالجمال ، ولكن ينبغى ألا يكون تناوله للقبح غاية فى ذاتها أو خضوعاً لسحره ، فللقبح — كما للجمال — سحره ، بل يحاول أولا التفريق بين القبيح المنتحر ، تعاشر جثته بقية الأحياء غير نادمة ولاخجلى ، والقبح الزائف ،مرد الحكم عليه ليس من معدنه ، بل من انحراف رؤية الناس وفساد حكمهم .. إن كلمة تشير إلى العورة هى غاية فى البذاءة إذا لم تخدم

غرضا إلا الإشادة بالقبح .. وقد تكون غاية فى الحياء والبراءة اذا أعانت على صدق الرؤية ، واندمجت بين بقية مظاهر الحياة ، يعمها التناسق .

وهى التى ــ أخيرا ــ تكون من حيث الصنعة متقنة ، متوازنة ، لها ايحاء يزيد ويعلو على جماع الفاظها ..

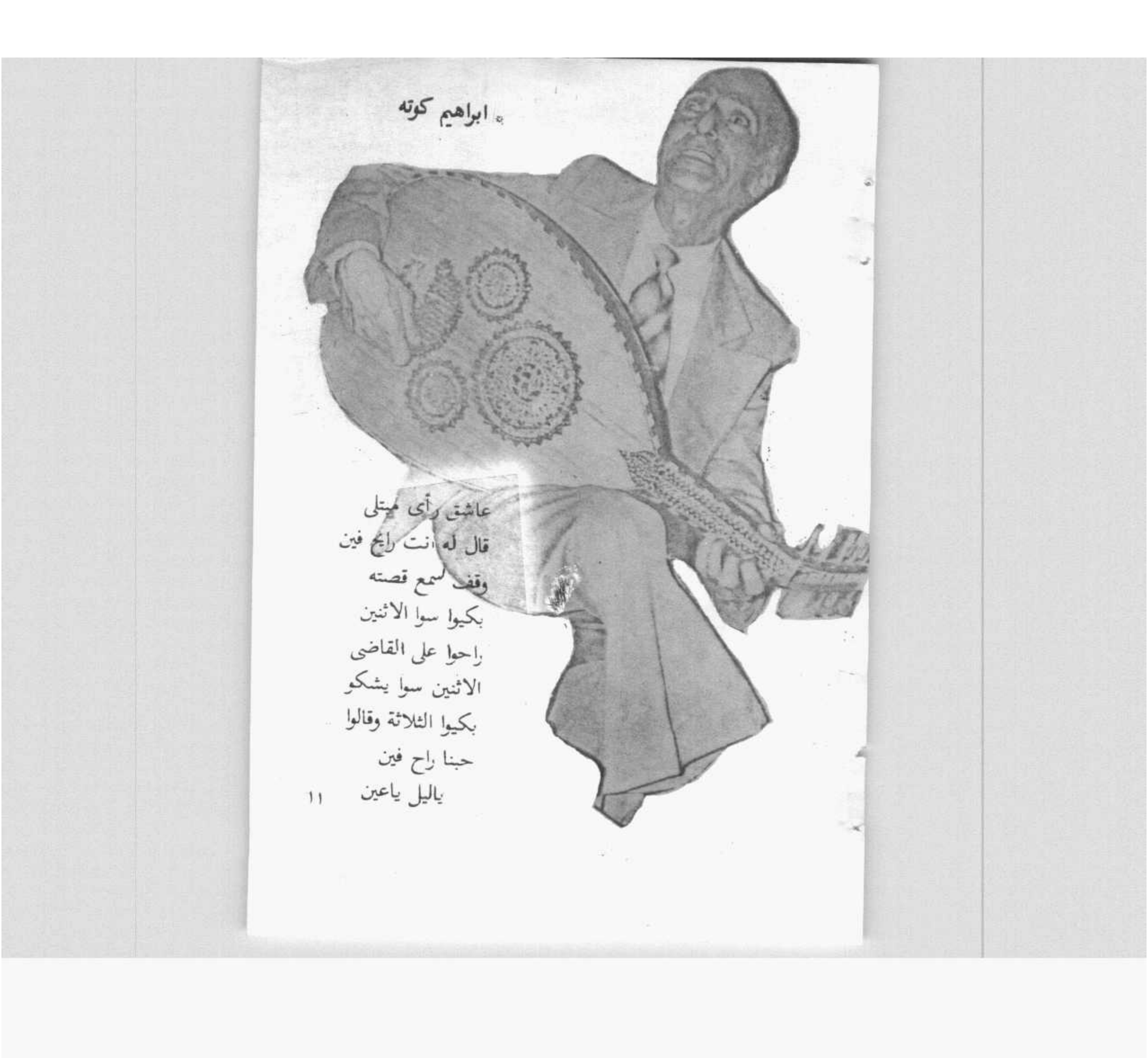
* * *

أحسست بهذا فى نفسى .. وقلبته فى خاطرى وأنا أقرأ « حضن الليل » و« الرغبة فى الضحك » ..وهاأنذا أتركك لها .. واتركها لك ، تستأذن بين يديك لترى فيهما أنت رأيك ..

يحيى حقى

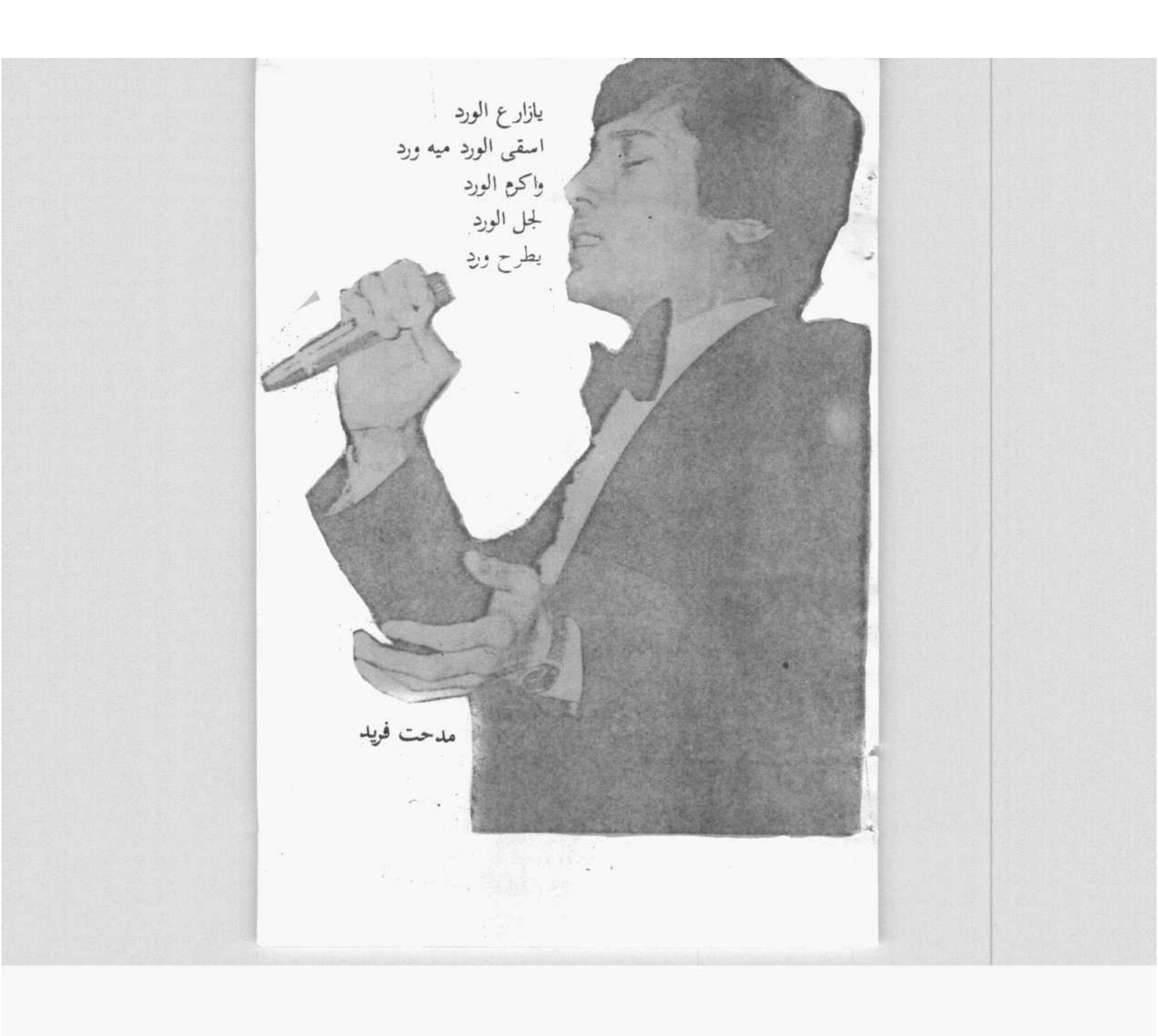
مصر الجديدة فى ٦/٤/٨٢

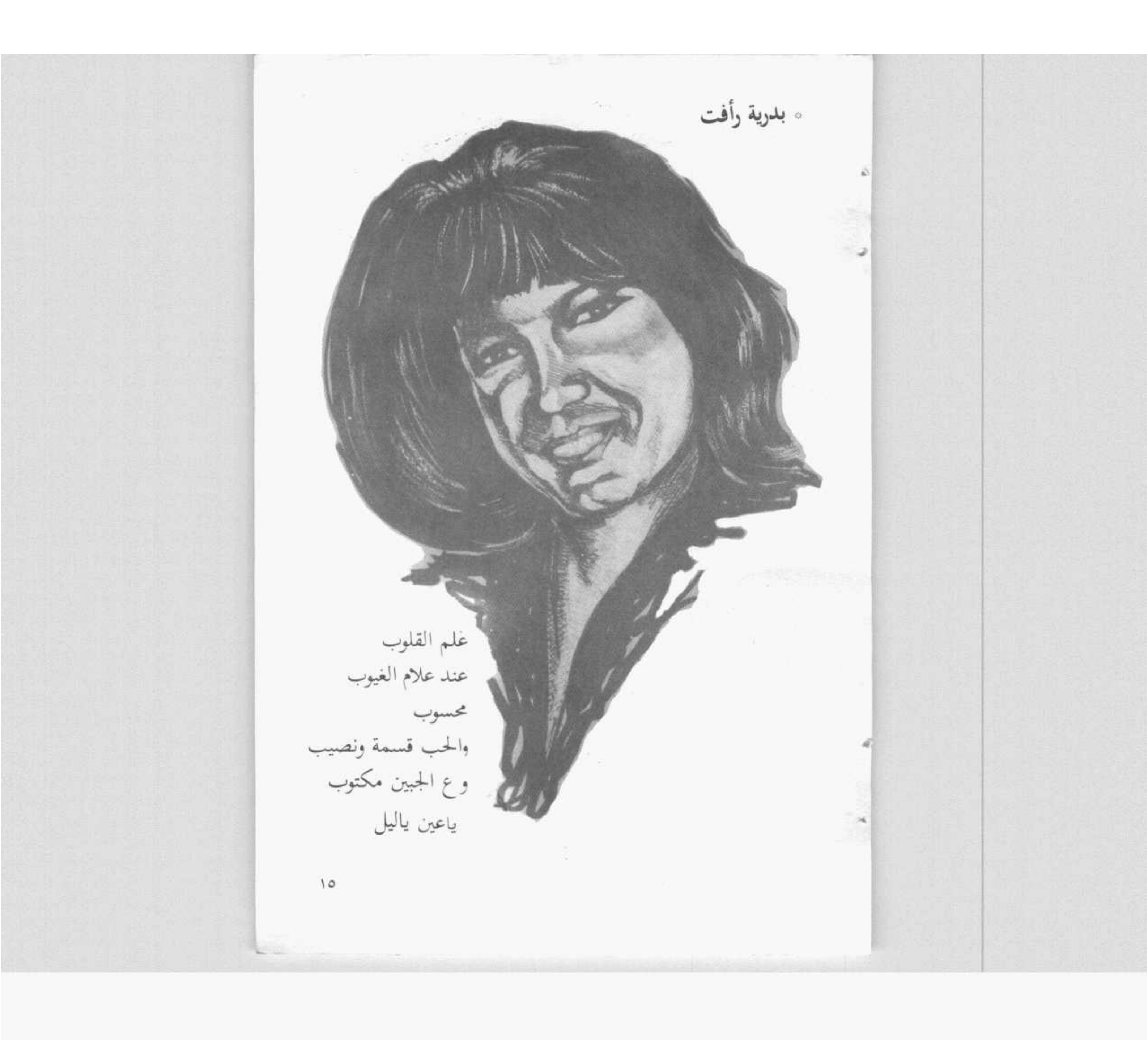
حضن الليل



ابراهيم كوته

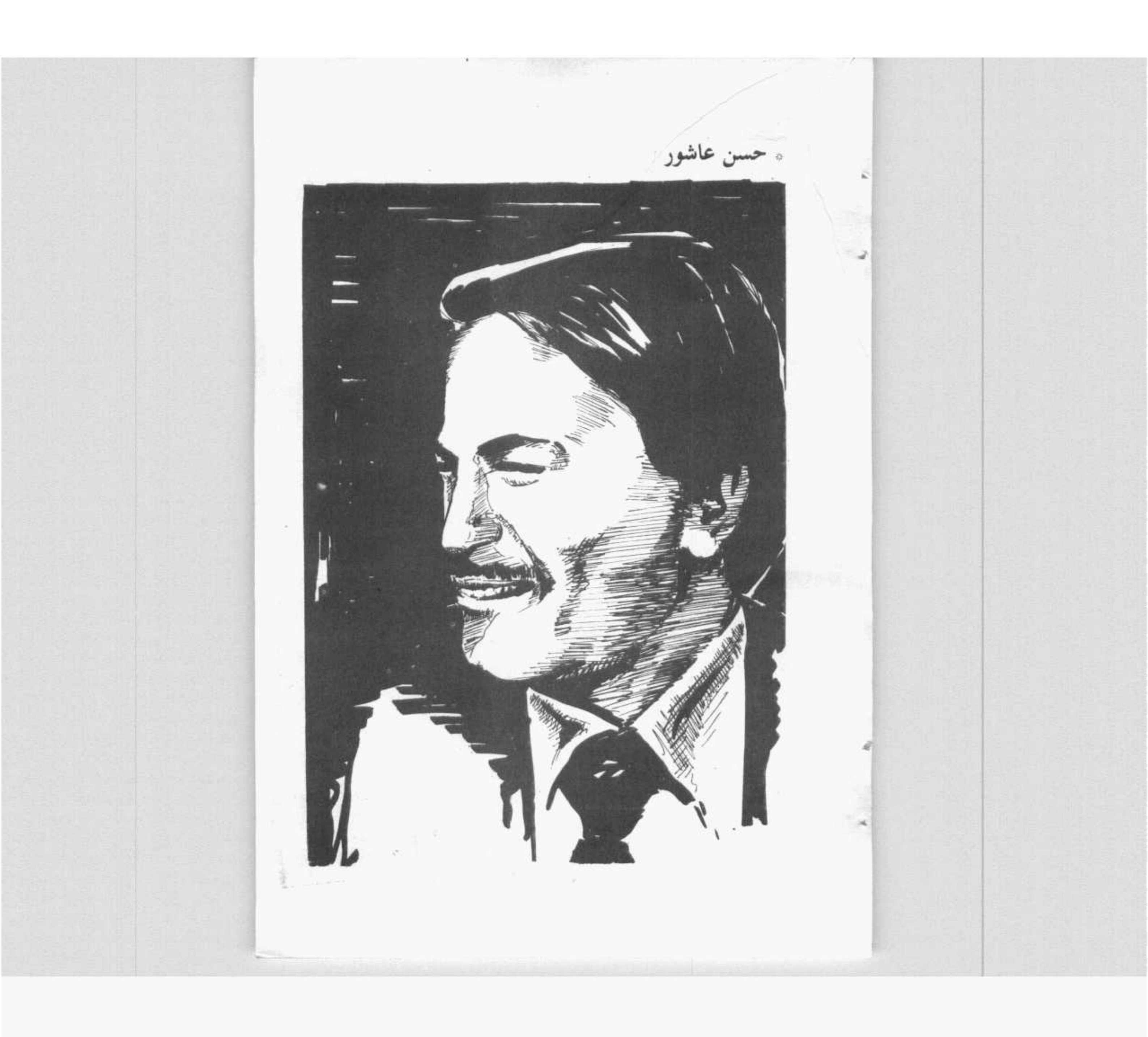
عاشق رأى ميتلى
قال له انت رايح فين
وقف لسمع قصته
بكيوا سوا الاثنين
راحوا على القاضى
الاثنين سوا يشكو
بكيوا الثلاثة وقالوا
حبنا راح فين
ياليل ياعين


يازارع الورد
اسقى الورد ميه ورد
واكرم الورد
لجل الورد
يطرح ورد
مدحت فريد



○ بدرية رأفت

علم القلوب
عند علام الغيوب
محسوب
والحب قسمة ونصيب
و ع الجبين مكتوب
ياعين ياليل



حسن عاشور



نجية الحلوانى

منى تروح فين
ياكنزى ورسمالى
ياقلب طاهر حنون
ياعشرة على الغالى
القلب داب وانكوى
صعبان عليه حالى
حبيت نجيم فى السما
ساكن هناك عالى
حب الصفيح للدهب
دا رخيص ودا غالى
ياليل


حنان

— ١ —

لاسكندرية ..

اذان الفجر بعد ليل السهر ..

هدأت المدينة وسكت كل شيء ...ولم يبق الا صوت البحر ونسمة هواء بارد يتسلل من تحت معطفه ويكاد ينفذ إلى عظامه .. فى الرأس مازالت آثار رابع أو خامس كاس كونياك .. يرتعش ضوء فوانيس الشوارع تحت اقدامه فوق بلاط الحارة .. صوت حذائه يرن فى السكون له ايقاع .. عوده تحت ابطه وفى فمه سيجارة تتوهج يخرج دخانها مع شبورة الفجر ضباباً كثيفا .. يستعيد بدقات قدميه الأيقاع للحن يحاول الامساك به .. دوم ..تك ددوم دوم ..تك ..دوم دوم ..تك .. كلا .. ليس هو المقام الذى يريد .. أين رأسك ياإبراهيم ياكوته .. اين فنك ياسيد ملحنى عصرك .. ابتسم لنفسه .. فى البيت بقايا زجاجة من صنف فاخر هدية من فرح سابق .. تشرب وتدندن ويأتى اللحن كما أتى غيره .. وكما سيأتى كثير .. يطفىء سيجارته ويرفع ياقة معطفه ويسرع مستحثاً الخطى داخلا إلى الحارة الغارقة فى الظلام .. قدماه تعرفان الطريق خطوة خطوة من طول مامشته .. يصعد سلالم البيت العتيقة .. فى الرأس صداع .. وفى القلب جمرة لاتنطفىء .

* * *

— ٢ —

ترتفع شمس الصباح ويزحف ضوء النهار .. يسقط على النافذة ويتسلل متمدداً داخل الغرفة .. يتقلب إبراهيم كوته فى فراشه ساحباً الغطاء فوقه .. يبدأ يعى بالتدريج ماحوله ... آثار سهرة الأمس بجانب الفراش .. كوبه الفارغ .. والزجاجة ..

ادار رأسه يبحث عن العود . لمحه إلى جوار الفراش فمد يده من تحت الغطاء والتقطة واعتدل جالساً .. حاول أن يتذكر شيئاً من لحن الأمس دون جدوى .. الصداع لم يبرح رأسه وبطنه خاوية ونفسه تتوق إلى سيجارة .. أين ؟ .. مد جسمه على آخره وفرد ذراعه يحاول الوصول إلى معطفه فوق الكرسى فلم يستطع .. لايريد أن يخرج من تحت دفء الغطاء .. سحبه فوقه وخطا نحو المعطف .. أخرج سجائرة وعاد مسرعا إلى فراشه .. سوى نفسه فيه وأشعل سيجارة سحب منها نفسا طويلا وأراح عوده فى حضنه وراح يدندن محاولا أن يتذكر لحن الأمس .. سرح طويلا مع النغم حتى أمسك بالمقام الهارب فتذكر اللحن .. راح يردده على اوتار العود مرة بعد مرة حتى تمكن منه .. الآن أحس بالراحة والدفء معا فقرر الخروج ..

وضع معطفه فوق كتفه .. تعثر فى اشيائه المبعثرة فى الحجرة قبل أن يصل إلى الباب .. سحبه خلفه ومضى يهبط السلالم الى الدنيا الواسعة .

* * *

عيناه لاتملان النظر إلى الافق البعيد .. فى جيبه جنيهات الأمس وأمامه مراكب الصيد تهتز فوق صفحة البحر .. واللحن مازال يتردد داخل رأسه .. سيعطى هذا اللحن لمدحت ليغنيه .. مدحت .. لعله الآن يبحث عنه .. هو يعرف أين يجده .. سيسأل عنه فى المقهى وسيخبروه بأنه خرج إلى البحر .. أو سيجده فى أنتظاره فوق السطوح أمام الحجرة جالساً فى أحد الأركان وسيفاجئه بالخبر .. لحن جديد لك يامدحت تغنيه فى الليالى الحلوة .. فوقك الأضواء تلمع بكل الألوان وصوتك يلعلع .. والناس لاتملك نفسها من حلاوة صوتك ولحن ابراهيم كوته .. لكن هذا اللحن يامدحت ليس أحسن ماصنعت .. صنعت أحسن منه .. وسأصنع لك أحسن وأحسن حتى تكون يامدحت ماأردت أنا نفسى أن أكون ولم استطع لكن عليك بالصبر .. ببطء تصعد السلم لكنك بالتأكيد ستصل .

أنا أعلم فلا تتعجل واسمع كلامى ..

إلى متى ياعم أبراهيم والعمر يمضى يوما بعد يوم ..

بالصبر ياولدى تبلغ ماتريد .

أحلام الفتى كامواج البحر تصطدم بالصخور فيتطاير رذاذها ويتبدد لكنها أبداً لاتهدأ ..

أعرف أنك أحسن من سمعت وأفضل تلاميذى لحنى لاأملك أكثر من فنى .. هو كل ماعندى أقدمه لك كما قدمت

لغيرك ولا أنتظر من أحد شيئا .. هل تسمعنى .. لا أنتظر من أحد شيئا .

(٤)

رعشة الفرح تهزها .. تنتفض كعصفور بلله المطر .. ترى كل شيء حولها جميلا وسعيداً يبتسم لها فى هذا المنتزة ونور الصبح يفرش الأرض الرملية فى الممرات ويفيض على الخضرة والزهور أمامها ..

ويأتى مدحت ..

لم يتأخر يوما عن موعده منذ التقيا أول مرة .. تعرف بدرية كم هى تحبه وتدفع عمرها لتعرف كم هو يحبها .. تحكى له كل مايخطر على بالها .. كل ماتفكر فيه وتحس به .. تفتح قلبها له ولاتخفى شيئا .. وهو قليل الكلام .. ترى فى عينيه حزنا لاتعرف سببه .. سألته مرة .. أطرق ثم سألها لماذا تسأل .

هو نفسه لايعرف السبب .

تحب صوته الهادىء الواثق المغسول بندى الفجر .. لصوته رائحة الرجولة .. تراه أمامها شجرة ضخمة تحتمى تحتها ..

آه لو يفتح قلبه ويتكلم ! ..

فى ذلك اليوم تكلم مدحت .. أنت يابدرية لاتفهمين .. هذا العجوز المخرف يريدنا إلى جواره نمضغ مثله العجز والفشل حتى نذبل ونموت .. هو نفسه تمثال للفشل والضعف .. ليس على لسانه

إلا الصبر .. الصبر .. إلى متى يابدرية واحلامنا تفر من بين أصابعنا أمام أعيننا . ونحن ساكتون ..

يجرحها هذا الكلام .. ليته لم يتكلم .. المرة الوحيدة التى تمنت فيها أن يتكلم .. وها هو يتكلم تصرخ فيه ليسكت .. تحس بالمرارة داخلها .. هذا العجوز المخرف كما تقول أعطانا حياته .. أعطانا فنه وهو كل حياته .. لم يبخل علينا بما يملك .. ماذا اعطيناه نحن .. غير الشكوى والسخرية .. وهو يحبنا .. الا يكفى هذا .. فهل أحببناه ؟!

ماذا سيفعل لنا أكثر من هذا .. لماذا لانرحمه .. تندفع فى انفعالها فيرجوها أن تسكت .. كلامها وخزات تطعنه فى قلبه .. لست ضده أنا يابدرية .. اعذرينى .. أنا ضد استسلامه .

لابد من حل يابدرية .. اتفهمين .. لابد من حل .. طريقنا هنا سد .. غدنا لن يولد هنا .. هنا العقم والموت .. اسألى نفسك ماذا حققت أنت مثلا .. كل مجدك هنا أنك حلم السكارى وانصاف النائمين المترنحين على نغمات صوتك بينما أنت تعطيهم من نفسك ذوب احساسك ومشاعرك .. تموتين كل ليلة أملا ويأساً وحباً ولوعة وتقتاتين منهم على آهات اعجاب مخمورة من عقول فارغة مخدرة .. ماذا حققنا يابدرية ؟ لاشىء ..

لذلك سأغادر هذا البلد .. نعم سأتركه واترككم وأجرب حظى فى القاهرة .. لو فشلت سأعود .. لن أنساكم يابدرية

صدقيني .. هنا أنساكِ لأني هنا أنسى نفسي .. هناك ستكونين .. ستكونين معي .. سأحاول يابدرية .. سأحاول ..

— ٥ —

الشمس باردة ..

خلف زجاج النافذة جلس تحت أشعة الشمس .. كفاه فى حجرة محنى الظهر يفكر .. تغيب الشمس وتظهر ورجفة البرد تهز الجسد العجوز ..

تريد فرصة يامدحت .. ليكن .. معك كل الحق .. أحس بكل ما تعانى واكثر .. لكن ماذا أفعل ؟ .. يوما كنت مثلك .. أحمل أحلامى داخلى واتصور أن الدنيا ستصبح ملكى ..

يدير عينيه يبحث حوله عن بقايا زجاجة حملها معه بالأمس .. فارغة .. هكذا حياتى الآن .. لولا أنت وبدرية يامدحت لانعدم فيها كل معنى .. لعلكما لاتعرفان أني أعيش بكما ولكما .. أرى فيك أحلامى التى كادت تموت .. ولا أملك لها حياة .. أراها وقد عادت لها الحياة فأمتلىء بالفرحة .. لاتسعنى الدنيا نشوة .. لكن ماذا أفعل .. عجزت عن تحقيق حلمى لنفسى فكيف أحققه لك .. أيام الشباب ولت يامدحت ولم أشعر بها .. يوما بعد يوم انسحبت حياتى من بين أصابعى وكنت أظن أننى أقبض عليها .. فتحت كفى .. فوجدتها فارغة .. كنت أقبض على فراغ .. انشغلت عن نفسى .. لاتطلب منى أن أحكى لك لأن الذكريات

غول يخيف .. نعم يخيفنى .. حتى حبى سرقوه منى .. سرقوا كل شيء يامدحت .. هل كنت تعلم هذا .. سرقوا شبابى وفنى ومستقبلى .. حياتى كلها ضاعت يامدحت فخفف قسوتك عنى وارحم شيخا محطماً يحيا من أجلك ويرى فيك صورة شبابه .

* * *

— ٦ —

تحت الأضواء تقف بدرية .. تتحرك .. تنزف احساسها كل ليلة ..

لحنى ينجح بصوتك ياابنتى لو سمعك الناس .. من تغنين أمامهم أنصاف أحياء لايحسون .. خسارة فيهم احساسك .. وفرى احساسك لغيرهم ياابنتى ولا تعذبينى ..

— ٧ —

من فتحة الباب يطل الوجه الطيب الشاحب الحزين .. يرسم ابتسامة ..

هل تأذن الحلوة فى الدخول ؟

ترفع وجهها متهللة

تعرف الصوت

عم إبراهيم ! .. تستأذن فى الدخول أيها العجوز الطيب .. تكتسى ملامحه بالجدية

اسمعينى ياابنتى .. تعرفين ماقاله مدحت .. لقد فكرت فى

كلامه طويلا .. مستحيل أن يظل مدحت داخل الشرنقة .. أحس به تماما .. سيختنق ويموت .. هل ترضين له الموت ؟

تهز رأسها تطرد فزعها ..

سيسافر مدحت .. من أجل مستقبله وفنه لابد أن يسافر .. أدرك جيدا ماأقول فافهميني .. هل حدثتك قبلا عن حسن عاشور ؟

حسن عاشور ؟!

ومن لايعرف حسن عاشور ياعم ابراهيم ..

حسن عاشور المع الاسماء فى دنيا الموسيقى والألحان .. حديث الناس فى كل مكان .. نسمعه ونسمع عنه ونقرأ عنه ويطل علينا صباح مساء من كل جريدة أو مجلة وتليفزيون .. مالك أنت وحسن عاشور ياعم ابراهيم ..

حسن عاشور ياابنتى رفيق مشوار طويل من العذاب وسهر الليالى .. رحلة عمر كاملة مع الأمل والألم والفرح والدموع حتى تفرقت بنا الطرق .. اختلفنا لاننا مختلفان ..

ذهبت به طريقه إلى حيث هو الآن واضاعتنى طريقى طويلا حتى صرت ما أنا فيه الآن .. لن أحكى لك المزيد . سيسافر مدحت لحسن عاشور بتوصية منى .. وسيسمعه عاشور لأنه صائغ ماهر يفهم فى المعدن النادر ومدحت صوت من معدن نادر ..

الفكرة مخيفة أيها الرجل الطيب .. أواثق أنت أن حسن عاشور يمكن أن ؟؟ ..

عاشور ياابنتى يعرف ماذا يفعل .. هذا هو الفرق بينى وبينه .. ثم هو لايرد لى طلباً .. من أين هذه الثقة تسألين ؟! .. لأنه لايملك أن يرد لى طلباً .. ربما لخاطر الزمالة القديمة .. أو ربما لأن به ضعفاً تجاهى .. قولى ماتشائين لكن صدق أننى لم أكن أريد أن أخطو هذه الخطوة فمنذ افترقنا وأنا أحاول كل ساعة أن أنسى أن فى هذه الدنيا شيئا اسمه حسن عاشور .. لن تتصورى مقدار المى أن الجأ إليه ..

لكن لخاطر مدحت أفعل ماأفعل ..

غدا يسافر مدحت إليه ..

الآن أذهب إلى مدحت لأخبره .. لا تعبسى ياحلوة .. أنا أيضاً حزين مثلك لكن لابد أن نتمسك بالأمل .. نحن ياابنتى شريكان فى الالم لكن أملنا فى الغد أكبر من كل الأحزان فابتسمى ..

* * *

— ٨ —

القاهرة ..

زحمة الأضواء هنا فاجرة مجنونة تكاد تمسك بملابسك .. الأضواء هناك أطياف الألوان توشوش فى أذنيك .. ترسل اناملها

تتحسس وجهك فتدغدغ عواطفك .. تدعوك ولاتدعوك ..

يعرف جيدا ليل الاسكندرية .. يحفظ أضواءها .. رآها طفلا وصبيا وشابا .. مطالع الشوارع يعرفها .. كل زاوية .. كل حجر .. هناك النسمة تهب من البحر تطفىء صهد النهار ..

هنا العرق والصخب والجنون ..

هنا حسن عاشور .. وغد يفتح ذراعيه على أتساعهما لك يامدحت فلا تتردد .

* * *

— ٩ —

منذ غادر اللوكاندة فى الصباح ، حتى الرابعة بعد الظهر وهو لم يتناول أى طعام .. يحس بالتوتر .. كلما تصور لقاءه بحسن عاشور سرت رعدة فى أوصاله . ماذا سيقول لهذا العملاق .. كيف سيستقبله هو ؟.

يارب ماذا بعد هذه اللحظة ..

على سور الكورنيش أمام التليفزيون جلس .. من فوق رأسه تشابكت أغصان الشجرة الضخمة والقت ظلها أمامه على الرصيف .. نظر فى ساعته .. لم يعد يحس مرور الوقت .. نهض يعبر الشارع إلى المبنى يسأل عنه للمرة الأخيرة .. لم يصل حتى الآن .. عنوان منزله .. رقم تليفونه .. لاأحد يرد ..

قرر العودة إلى اللوكاندة يستريح ويتيح لنفسه فرصة أفضل للتفكير ..

تمدد فوق الفراش يقلب صفحات الجريدة . هاهى صورته وكلام يقوله .. سأل نفسه .. هل يعرفه ابراهيم كوته حقا .. بدأ الشك يتسلل إلى نفسه .. لماذا لاتكون المسألة كلها خدعة كبيرة هو ضحيتها .. نفى الخاطر بسرعة .. ابراهيم كوته انسان طيب لايفعل به هذا .. ولماذا القلق ؟ غدا يلتقى به ويتضح كل شيء .. غدا ينفتح الباب أمامه .. وستعرف الدينا من هو مدحت فريد ..

طوى الجريدة .. وانزلق يريح رأسه فوق الوسادة .

* * *

— ١٠ —

هو الاستاذ حسن عاشور .. بعينه .. ومن غيره .. صدره .. يجيش بشتى الانفعالات .. دق قلبه فى عنف وتسارعت أنفاسه .. لاتدع الفرصة تفلت منك .. دس كفه فى جيبه يطمئن على وجود الرسالة معه واسرع نحوه ..

كان حسن عاشور يصعد درجات المبنى فى تؤدة .. حوله بعض تلامذته والعاملين معه .. طويلا .. فخما .. فى عينيه بعض القسوة .. ثابت الخطوات .. قليل الكلام .

استاذ حسن ..

التفت اليه .. مدّ يداً مرتعشة بالرسالة وعلى فمه ابتسامة تجاهد لتبقى .. تناول منه الرسالة .. فصها ببطء .. جرت عيناه عليها ثم طواها واعادها اليه ..

تعال إلى غدا فى منزلى .. العنوان ؟ .. فيلا عاشور بالمعادى .. أشار له .. بعد التاسعة .. لاتنس .. ومضى داخلا إلى المبنى وسط ضجيج الملتفين حوله ..

وقف وحيدا يفكر .. الرسالة فى يده ..

هدأ فجاة كل شيء حوله .

استدار يهبط الدرجات القليلة يستعد للقاء الغد .

* * *

— ١١ —

الطريق الى الفيلا طويل وموحش ..

يسير داخل نفق من الأشجار تبدو على الجانبين كطابورين من الجنود يحرسون الطريق .. الظلام يلفه .. والحى الهادىء صامت لايقطع صمته سوى نباح بعيد يحمله الهواء اليه .. ياقة القميص الجديد جافة تحك رقبته .. عند اقرب مصباح ينحنى ليتأكد من نظافة حذائه بعد هذا السير الطويل . يجب الا يبدو عليه التعب رغم لبلة أمضاها بلا نوم من رهبة اللقاء .. سيسمعه حسن عاشور .. سيغنى كل ماحفظه له ابراهيم كوته ..

أى نوع من العلاقة يمكن أن يكون بين كوتة وعاشور ؟!

سأل نفسه ..

وماذا يهمه ؟!

دعاه الرجل للقائه وهاهو قبل الموعد أمام بابه ولن تمر دقائق حتى تنفتح أمامه أبواب ذلك العالم المسحور .. سيعرف كل شىء فى حينه .. لكن يجب أن يقتنع بك أولا .. ستهزه .. ستجعله يلتفت اليك مشدوها .. سينصت لك وأنت تغنى .. ستسمع الدنيا .. وسيسكت كل صوت الا صوتك يامدحت فتقدم .. تقدم واضغط الجرس ..

* * *

— ١٢ —

تقلبت فى فراشها .. لاتستطيع النوم .. اعتدلت جالسة .. يومان ومدحت بعيد .. الانتظار صعب ..

هل تسافر اليه ؟ ..

لكن أين ستسأل عنه ؟ .. حسن عاشور .. ؟! وأين لها حسن عاشور ..

ماذا فعلت ياكوتة بمدحت ؟ ..

هذه رغبته يابدرية .. أتذكرين .. أراد فرصة فساعدته عليها .. سيصبح نجما لاشك فى هذا .. أنا أعلم هذا ومتأكد منه .. أحلمى مثلى يابدرية .. صور مدحت تملأ أفيشات الشوارع .. سترينة فى كل مكان .. يردد الناس اسمه .. ستسمعين صوته من كل راديو .. وتشاهدينه على كل شاشة تليفزيون .. صوته

سيملأ الدنيا .. ستفتح له كل الأبواب .. وسنصفق له أنا وأنت ومعنا كل الناس ..

وسيعرفنى ياعم ابراهيم بلا شك .. سأناديه .. وسيسمع صوتى .. سيلقانى فاتحاً ذراعيه وسأرتمى بينهما ويضمنى .. فاستكين فى حضنه .. سأقول للدنيا هذا هو مدحت حبى وحبيبى .. نعم ياعم ابراهيم .. سينجح مدحت .. وتنجح أنت .. وأنجح أنا .. سنودع الفقر والذل هنا .. سنسير مع مدحت مشواره .. سنكون معه .. الى جواره لانفارقه .. مدحت هو قبضتك التى ستحطم حائط العجز ياكوتة .. وسيمسح عنك هوان السنين الطوال .. لكن حسن عاشور .. !!

وينساب خيط من المرارة إلى قلب ابراهيم كوتة فيصمت ..

لكن حلم بدرية لايتوقف .. تحلم .. بينما يجلس كوتة معتمدا بوجهه على كفيه غارقا فى حزنه الصامت .. وصوت بدرية يشقشق حوله سعيدا ..

— ١٣ —

نغمات البيانو تتناهى الى سمعه واضحة تقطع سكون الانتظار .. تتلون من مقام الى مقام فى دربة حاذقة .. الاصابع العازفة لابد ماهرة .. تتسارع الأنغام وتبطىء .. تعلو وتنخفض .. يتابع اللحن باهتمام .. يدير عينيه فيما حوله .. كل شىء يشى بالثراء الباذخ .. على الحوائط وتحت قدميه .. أمامه وخلفه وفى كل

مكان .. كل هذا لحسن عاشور ..

طافت بذهنه صورة ابراهيم كوتة يحتضن عوده فى حنان هناك فى غرفتة فوق السطوح .. وكل ماحوله يضرب فى الفوضى .. لكنها فوضى يحبها ..

أنت اذن تعرف حسن عاشور ياعم كوتة !!

تعرفه كل هذه السنين وتخفيه عنا أيها العجوز ..

توقف صوت العزف فانتبه .. أمامه يقف حسن عاشور فارع الطول .. واضح الملامح .. السيجار فى يده .. بعض الشيب يتماوج فى شعره فيضفى عليه كثيرا من العظمة ..

نهض واقفا .. أشار له .. اجلس .. جلس .. حسن عاشور يجلس أمامه واضعا ساقا فوق ساق . يهزها ..

يسأله والسيجار فى فمه .. منذ متى وأنت تعرف ابراهيم كوتة ..

للاسم فى فم حسن عاشور معنى مختلف ..

أحس انه هنا ليس كوتة الذى يعرفه ..

أعرفه منذ بدأت أحبو فى الفن ..

تعلمت منه ؟ ..

علمنى كل مايعلم ..

يضحك ..

اذن تعلمت الكثير ..

ينهض ..
كوتة يعلم الكثير .. الكثير جدا ..
يضحك ..
ضحكته واثقة .. لكنها أبدا .. ليست ودودة ..
يعطيه ظهره ويفتح خزانه فى الحائط يصب لنفسه شرابا ..
يستجمع نفسه .. ارسلنى اليك لتساعدنى ..
كأس .. ؟
يهز رأسه ويستأنف كلامه .. يرجوك أن تسمعنى .. يقول ..
لايدعه عاشور يتم كلامه .. حسن جدا .. سأسمعك .. يمضى خلفه ..
يلتفت اليه .. ماذا ستسمعنى ؟ ..
هل تحب لحناً لابراهيم كوتة ؟ ..
لحن لابراهيم كوتة ؟! هل مازال كوتة يلحن ؟ ..
لحن قديم له
ماهو ؟ ..
أظن أننى أعرفه،يعتدل أمام البيانو ويبدأ يعزف اللحن .. يعزفه أحسن من كوتة نفسه ..
تتسع عيناه دهشة ..
يشير له عاشور ليبدأ ..

يخرج صوته مرتعشا أول الأمر ثم ينطلق .. ينسى نفسه عندما يغنى .. لايرى حسن عاشور .. يغيب المكان عن وعيه .. يسقط فى اللاوجود .. لايرى أمامه الا ابراهيم كوتة على العود يبتسم له مشجعا .. يلف صوته مع اللحن صاعدا هابطا .. أصابع حسن عاشور تجرى على البيانو .. يختم اغنيته .. حبات العرق تبلل وجهه ورقبته .. حسن عاشور مازالت أصابعه على البيانو .. مرت الثوانى عمرا طويلا ..

استدار إليه ..برافو .. هادئة بلا انفعال .

صوتك يعجبنى .. الأهم أنك تحس بما تغنى ..

قال بحماس برىء

تعلمت هذا من ابراهيم كوتة ..

قاطعه فى انفعال

انس الآن ابراهيم كوتة .. ماذا كنت أقول .. آه .. معى ستتعلم شيئا جديداً .. شيء لايعرفه ابراهيم كوتة .. لايعرفه سوى حسن عاشور وحده .. هل تفهمنى ؟ ..

— ١٤ —

ياما أجمل الغد .. بدأت ملامحه تتضح مشرق الطلعة مفعماً بالأفراح .. الأضواء والالوان عامرة بالبهجة .. طنين الهمس يدور حوله .. الأكف تصفق .. الموسيقى .. يستمع .. يلتفت .. يجيب .. الهمس يكفى .. الاشارة تغنى عن الكلام .. أين أنت ياعم ابراهيم لتحيا معى هذا الحلم الرائع .. معذرة .. يومى مشغول

بالمواعيد .. لكل شيء نظام .. الأكل .. الملبس .. حتى المغنى .. تصور ! تدريبات بالليل والنهار ..

كلامى أصبح مختلفاً .. أحيانا استغرب نفسى .. انظر اليها فى المرآة

نعم .. الوجه أعرفه .. لكن هناك شيء مختلف .. بالتحديد لا اعرف ماهو .. أدور حول نفسى نصف دورة .. رائع .. هذا الرجل كما قلت أنت تماماً جواهرجى بارع يعرف كيف يصوغ المعدن بين اصابعه الفنانة يصنع منه حلية نادرة .. تحفة .. أحس بنفسى خفيفا .. لكنى لاأخفى عنك أنت .. بعض الخوف يساورنى .. ليس خوفا بالضبط لكنه القلق ..

عم ابراهيم .. إسمعنى .. أرجوك .. والآن .. قل لى كيف تعرف حسن عاشور إلى هذه الدرجة ..

عم ابراهيم .. أنا مدحت فريد .. هل تذكرنى ؟! بدرية !! نعم بدرية .. نعم ماهى أخبارها .. هل تسلم لى عليها .. سامحنى ياعم كوتة .. وقتى ضيق .. اتركك الآن .. سأحاول أن أراك .. قريبا .. قريبا جدا ياعم ابراهيم .. والآن .. باى .. !

* * *

— ١٥ —

زرقة سماء الغروب يضرب فيها الشفق فتتلون السحابات السابحة فى الفضاء بالأصفر والأحمر ..

تسير الى جواره .. تكاد تقفز فى مشيتها .. تسبقه أحيانا خطوة أو خطوتين .. تستدير نحوه .. قل كل شىء .. أرجوك لاتنس حرفا .. لاتخف عنى حتى الحركة .. لون بذلته .. قميصه .. ربطة العنق .. مالونها ؟ .. حتى الحذاء .. عيناه الذكيتان تطل منهما الفرحة .. أراهما .. وصوته الساحر .. أسمعه .. تصور أيها العجوز الطيب أنه يأتى من مصر الى هنا كى يسأل عنى . ماذا قال .. أحك كل شىء ياعم ابراهيم لاتصمت هكذا .. هاأنذا أسكت فتكلم أنت

اللهفة تلمع فى دموع عينيها ..

تكلم ياعم ابراهيم .. تكلم !

— ١٦ —

فى فيلا حسن عاشور كانت أول مرة يراها

امتلأت الفيلا بالمدعوين ..

الليلة اقدمك لنجوم الحقل الفنى كله .. ستتعرف عليهم ويتعرفون عليك فلا تخذلنى .. ستغنى لهم وسيستمعون اليك .. كلهم فى أعلا المراكز وسيهتمون بك .. هم أصدقائى فلا تخش شيئا ..

أحيانا يسأل مدحت نفسه .. لماذا يرى حسن عاشور الكل عند أقدامه .. من أين تأتيه كل هذه الثقة .. فى الحفل قدمه لها .. وقدمها له .. مدام نشأت .. رحبت به .. زاد اهتمامها عندما عرفت

منه علاقته بكوتة ..

أنت أيضا تعرفين كوتة ؟

يلون الحزن عينيها ..

فى ختام الحفل تهنئه .. كنت رائعا .. هذه أثار ابراهيم كوتة ولاشك .. يعرف هذا جيدا .. يقول مجاملا .. لن أنسى فضل استاذى حسن عاشور .. تربت فى رفق على كتفه .. يوما ماستعرف من هو حسن عاشور .. وتستدير لتنصرف وتترك خلفها سؤالا بلا جواب ..

* * *

— ١٧ —

لم تبق الا دعوة كوتة ..

اكتمل كل شيء .. صورته تغطى الحوائط .. يرى اسمه مكتوبا على لوحات الاعلانات .. عاشور بما يملكه من اتصالات استطاع اشراكه فى هذا الحفل ..

ستسمع الدنيا مدحت فريد وتعرف من هو ..

هاهو حلمك ياعم ابراهيم يكاد يتحقق .. أذكر كل كلمة قلتها لى ونحن نسير فى حوارى الحضرة .. صوتك مازال فى أذنى .. كنت واثقا الى هذه الدرجة ؟ .. أى رجل أنت ياكوتة .. تعال الآن لتشهد نجاحك .. تراه بعينيك .. عاشور رتب كل شيء .. رجل

يحسب لكل شيء حسابه .. الحياة نفسها عنده عملية حسابية .. لم يكن ممكنا شيء من هذا بغيره ياعم ابراهيم .. أنت وهو صنعتما نجاحى .. غدا تجدنى أمامك .. أصطحبك معى .. نعم معنا بدرية رأفت ثالثتنا .. الم نتفق على هذا .. على السطوح أمام غرفتك كنت تحلم بيوم كهذا وكنا نحلم معك .. لم يعد حلما ياعم ابراهيم .. هو الآن حقيقة .. فافتح ذراعيك للدنيا يارجل .

* * *

— ١٨ —

لايصدق نفسه .. يظن المسألة دعابة ثقيلة ولايمكن أن تكون اكثر من هذا .. ثورة حسن عاشور المباغته لاتفسير لها الا أنها شطحة فنان .. لايفهم هذا الرجل ..

لا أحب أن يذكر اسم كوتة امامى .. وفى بيتى !!

لأى سبب هذه الثورة على كوتة .. كل هذا الغل منه يبدو بلا تفسير .. لامعنى له .. لماذا يمنعه عاشور من السفر الى كوتة .. لايفهم .. لماذا كل هذه الكراهية للرجل الطيب .. لايفهم .. لماذا اذن كان اهتمامك بى كل هذا الاهتمام .. كان بوسعك طردى من اليوم الاول .. من اللحظة الأولى .. أنا لاأفهمك يااستاذ حسن . لايستطيع حسن عاشور أن يتصور أن يقف أمامه ابراهيم كوتة مرة أخرى .. كان يظن أنه نسى هذه الأيام .. لماذا تذكرنى به .. لأفهم اصرارك على حضوره .. ماذا فعل .. ماذا قدم لك .. أنا الذى

صنعتك .. لولا فشله وعجزه لما كنت عندى .. لما فكر فى أن يرسلك الىّ ..

ماذا يملك كوتة أن يفعل لك .. لو كان بيده شيء لفعله لنفسه .. يكفيه أن يسمع عن نجاحك لانه نجاح حسن عاشور وفشله هو .. المسألة هكذا .. نجاح حسن عاشور يعنى فشل ابراهيم كوتة .. لاتطلب منى مالا أستطيع .. كوتة ليس له وجود هنا .. هل فهمت ؟! .

كلام حسن عاشور يهوى كالصفعات على وجه مدحت .. ويطعنه كالمدية .. هل يعرف ابراهيم كوتة مقدار الكراهية التى يحملها له عاشور .. لو كان يعلم فلماذا يرسله اليه ..

يرفض مدحت أن يستقبل لحظة النجاح وحده بعيداً عن الرجل الذى أعطاه كل ماعنده ..

سيواجه حسن عاشور بأنه لن يغنى بدون كوتة وليحدث مايحدث ..

لست سلاحك أنا ولن أكون ضد كوتة أتفهم ؟ نعم الى هذا الحد ..لامعنى لمستقبل من صنع مرارتك وكراهيتك .. كنا نحلم مع كوتة بصباح يشرق علينا مملوءا بالافراح والبهجة .. عالمك أنت كريه .. بارد لا يعرف دفء العواطف ..

لايفهم حسن عاشور كيف يفكر هؤلاء الناس . كوتة الخامل المستسلم تذوب فيه حباً نجية الحلوانى زهرة ليالى الأسكندرية

وعطرها الفواح وتنكره هو .. هو حسن عاشور الذى لاتخفى عليه خافية .. رجل يعرف كيف يأتى بالغد قبل أن يولد ..الدنيا فى يده لعبة يلعبها .. قدم لها قلبه .. عرق الليالى .. فرش الأرض أمامها بالاحلام .. كوتة رجل بلا غد .. صدقينى عمرنا عشناه معا .. لن تجنى معه الا الحسرة والندم .. ستضيعين شبابك الى جوار فشله .

هذا رجل شاخت روحه وهو فى ريق صباه .. حياته مشوار مع الأحزان .. مالنا وإياه .. امامنا الحياة عامرة بالمتعة فضعى يدك فى يدى نغترف منها ..

رغم كل ما فعله يحس فى قرارة نفسه ان نجيه ماتزال تحب كوتة .. يرى ذلك فى تصرفاتها .. يعرفها خيراً مما تعرف نفسها .. ثم يأتى مدحت اليوم يريد أن يعيد كوتة للحياة بعد أن أماتة هو فى قلبه

أى سر فيك يا كوتة يحملهم على التمسك بك .. كيف .. وأنت لا تملك ما أملك .. أيكون السر فى ضعفك .. هل يحمل الضعف فى داخله قوة لانحسها ؟! .. لاأفهم .. هم ولا شك مجانين يحلمون . ستصدمهم الحقيقة يوما فيعود لهم عقلهم ..

— ١٩ —

مرت أيام السعادة سريعة .. كل خطوة خطوناها معاً كانت أملاً .. كل بقعة نور .. كل كلمة كانت نعيما لم أحفظه .. هل تسألنى عن ابراهيم كوتة ؟ اسأله هو عن نجية الحلوانى .. أعلم رأيه فيها .. وهى تستحقه .. الم يحدثك يوما عنى ؟ .. أنا نجية نعم ..

مدام نشأت بعد ذلك .. سأحدثك عن كوتة مادمت تسألنى عنه .. كان ابراهيم الأرض بعد ليل الغرق .. كان ظلا وارفاً احتمينا تحته .. هل تسأل الشجرة على أى أرض تلقى ظلها ؟ .. هكذا كان ابراهيم .. أغوانى لحظة ضوء النهار فخرجت من ظله اليه .. لم يكن نورا .. كان ناراً أشعلها عاشور واحترقت أنابها ..

ل تريد أن تسمع المزيد يامدحت ؟ .. اسأل كوتة عن نجية .. وسترى انسانا آخر غير كوتة الذى تعرفه !

* * *

— ٢٠ —

انتهى كل شىء .. ضاع حلمك يامدحت وتحطمت الدنيا تحت أقدامك ..

ستسمع من كوتة وسيسمع لك فلا تتأخر لحظة !

* * *

— ٢١ —

مدحت ..

مدحت .. هل تستسلم بهذه السرعة ؟ .. أى نوع من الرجال أنت ؟ .. حرام ماتفعله بى أنت وكوتة .. أنت أيضا صورة منه .. لو لم يستسلم كوتة من أول لحظة .. من أول لحظة ؟! أظنه ولد مستسلما لقدره .. لو لم يستسلم كوتة .. لتغيرت اشياء كثيرة .. لما كنت أنا هنا .. لما كنت صاحبة كباريه « ليالى

الأنس » .. أنا نجية حب كوتة وسره وأمله ومستقبله وخرابه ونهايته .. لماذا ؟ .. **لأنه** استسلم يامدحت ..

كنت صغيرة فجرفنى تيار عاشور .. عاشور قوى .. يعرف متى يقفز من السفينة الغارقة .. قفز ونجا بنفسه وتركنى .. باعنى يامدحت **لأول** مشتر .. كان غنيا .. طيبا .. منه ؟! .. نعم منه أنجبت حنان وعاقبنى القدر فيها .. حكاية أنت فى غنى عنها .. المهم .. لاتستسلم .. لاتكن كوتة آخر .. أتوسل اليك .. الحفل **؟.. أنا سأساعدك .. هل تمانع .. ؟**

اسمح لى أن اساعدك فأحاول صنع شىء لأجل كوتة .. أرد له بعض ظله الذى احتميت به دهرا من صباى الأسكندرانى .. لاتستسلم يامدحت وقاوم .. أنا معك يامدحت .. ومعنا الله .. وانتظر ياعاشور وسترى .. هذا هو مدحت تلميذ كوتة .. كوتة .. أتسمع **ياعاشور ؟** .. كوتة !

— ٢٢ —

ابداً لم تكن تتصور أنها تحمل كل هذا الحب للمكان .. قلبها يخفق بشدة .. نفس المكان .. كل شىء كما تركته .. كم مضى من السنين يانجية وكم تبقى ؟ .. هل هى فى حلم .. الوجوه تعرفها .. كل شبر من الأرض هنا يعرفها وتعرفه .. كم صباحاً وكم شمس نهار يانجية فتحت عينيك تعانقان الأمل .. كانت الروح ماتزال خضراء .. والشباب .. الشباب يانجية طاقة بلا حدود ..

أهدرتها .. ضاعت منك فى رحلة العمر وها أنت تعودين ..

أنزلت زجاج السيارة وأطلت برأسها تملأ صدرها بالهواء .. تنبهت على باب السيارة يفتح لها .. مدت قدمها تلمس الأرض .. وخطت خارجة .

— ٢٣ —

غدا تعود مدام نشأت من الأسكندرية .. سيقضى هذه الليلة فى ذلك البيت الواسع يرعى حنان كما طلبت نجية

أمضى بعض الليل حائراً لايدرى ماذا يفعل وسط قطع الأثاث المتناثرة حوله فى كل مكان ..

حنان فى الشرفة فوق مقعدها ذى العجلات تقرأ حينا فى كتاب معها .. وتتطلع كثيرا الى الافق الواسع الممتد أمامها .. صامتة لاتتحرك .. قرر ألا يتركها .. مضى نحوها .. نقر فوق زجاج الشرفة .. ادارت نصف وجهها نحوه .. أزاح الباب الزجاجى ودخل .. سحب مقعدا وجلس الى جوارها ..

— ٢٤ —

العذاب بئر ..
لاتعرف ماذا بداخلها حتى تسقط فيها ..

دوامة اذا اقتربت منها شدتك اليها لتدفعك الى الاعماق .. أبدا لم تعرف العذاب قبل اليوم .. حتى يوم أجلسوها فوق هذا

المقعد لم تعرف العذاب .. عرفت الألم .. المقاومة حتى اليأس ثم الاستسلام ..

العذاب الآن كلمة أصبح لها معنى .. عرفته وهاهى تعشه .. مدحت الى جوارها صامت لايجد كلاما يقوله .. أحلامها تسافر معه .. تغمض عينيها فوق صدره .. يحتويها بذراعيه .. تسمع أنفاسه .. دقات قلبه .. عيناه الوادعتان يحملانها بعيدا .. يجوبان بها العالم .. هذا قلبى أفتحه أمامك .. اطلب أغلى ما عندى أقدمه لك يامدحت .. سافر باحلامى .. خذها تطوف الدنيا معك .. نرقص معا تحت أشجار النخيل فى ضوء القمر فى اكابولكو .. يسبح بنا جندول فى فينيسيا .. نركض معا حفاة الأقدام على شاطىء الريفييرا .. تسير بى .. ذارعك تحتضننى فى لهايد بارك .. تدور بى فى رقصة مجنونة على ايقاعات الكاريوكا ..

مدحت .. هذا هو عذابى .. هل تحسه ؟

رفعت أصابعها المرتعشة تمسح دموعها .. انكفأت نظراتها الى الأرض .

قال مدحت مذعورا .. حنان .. أنت تبكين .. ؟!

قالت دون أن تنظر اليه .. مدحت .. احملنى الى فراش .. أرجوك ..

— ٢٥ —

دفعت بيدها الباب الموارب فوجدته أمامها ..

هو كوتة لم يتغير ..

أضافت الأيام الى ملامحه بعض الشعر الأبيض وزادت فى حزن العينين .. أدارت عينيها فى الغرفة .. كما هى .. نفس الفوضى التى أحبتها وكانت جزءا من شخصيته ..

من زجاج النافذة يتسلل خيط من النور يسقط على أرض الغرفة ويمتد حتى منتصفها ..

مازالت تذكر وقفاتها خلف زجاجها ترقب مراكب الصيادين .. وتميل بجذعها تطل برأسها خارجها فتشاهد جزءا من شريط الترام والميدان ..

أمامها يمتد البحر حينا كالحصير هادئا كنفسها اليوم .. وأحيانا يركبه الغضب فلا تقوى على اطالة النظر اليه .

من مقعده نهض ابراهيم كوتة وقد أخذته المفاجأة .. ردد الاسم بين شفتيه دون صوت اكثر من مرة ..

تقدمت نحوه خطوة ثم توقفت ..

مدت يدها .. ابراهيم .. نعم أنا نجية ياابراهيم قلبك ونِنّى العين اذا شئت .. وانت كما انت ياابراهيم .. ستبقى الظل الوارف الذى نلجأ اليه كلما اشتد علينا الهجير .. فهل يمتد ظلك نحوى .. يغطينى .. يحتوينى .. يحمينى ..

احتاج اليك ياابراهيم وكلى ندم ..

لاأستطيع أن أصف لك فأنت تعيشنى لأننى منك .. أنت الكل فلا ترفض جزءا منك يعود اليك .

أتيت أحدثك عن مدحت .. نعم .. عندى بعد أن لفظه عاشور .. كنت تعلم ياكوتة أن عاشور لن يسير معه مشواره ..

عاشور لايصنع النجاح ياكوتة وأنت تعلم .. عاشور يخطف .. يريد أن يثبت لنفسه أولا قبل أن يثبت لنا أنه النجاح ونحن الفشل .. هو المقدرة وأنت العجز .. نجاح مدحت على يديه معناه فشلك ونجاحه هو ..

نجاح مدحت لن يتحقق بدونك ياكوتة .. أنت أقوى من عاشور .. نعم .. اليوم أقول هذا بعد تجربة السنين .. اليوم أدركت أن عمرى لم يضع سدى .. أنت أغنى منه ..

ستقف خلف مدحت وأنامعك ياابراهيم نكمل مشواراً بدأناه .. مدحت كان يمكن أن يكون ابننا يا ابراهيم ..

لست أحلم .. بل سأضع كل ماأملك رهن اشارتك لتحقق به ماتريد .

اليوم جاءت فرصتك لتسمع عاشور ردك .. فماذا قلت ياكوتة ؟! .

— ٢٦ —

ماما .. ماما .. ضمينى اليك .. امسحى بكفك الحنون فوق شعرى .. دعينى أخبىء وجهى فى صدرك وأبكى ..

ماما احتاج اليك .. أجيبينى .. هل تحسين عذاب العصفور حبيس القفص .. عيناه تدوران فى الفضاء حوله .. تحلقان مع رفاقه .. تضربان باجنحتهما فى سعادة .. ترفرفان فى نعمة

الانطلاق وهو حبيس فى قفصه لايملك الا طموح النظرة وذل الاخماق عن التحقيق ..

ماما .. هل تحسين عذابه .. أرجوك .. أجلى دموعك واسمعينى .. هل تحسين عذابه اذا انفتح له باب سجنه. لينطلق .. ليعيش فرحة الطيران .. يشقشق سعيدا بقدرته على التحليق .. ثم .. نعم .. يخشى الخروج من سجنه .. أتعلمين لماذا .. لأنه ياأمى عصفور فقد جناحيه عندما أحس أن باب سجنه قد فتح أمامه ليخرج وحانت لحظة الطيران بحث عن جناحيه فلم يجدهما

أى عذاب ياأمى ..

أين هى اليد التى تمتد تخرج العصفور من قفصه .. تضمه بين أصابعها فى رفق .. ربت على ريشه الأخضر .. ترعاه حتى ينبت الجناحان .. وعندما يقويان على الطيران تطلقه يسبح فى الهواء مغردا .. !

ماما .. كنت تسألينى متى اوافق على الجراحة التى نصحك الاطباء بها .. اوافق الآن وباسرع ماتستطيعين .. لكن .. لأعود فاجده فى أنتظارى .. اجرى اليه .. يستقبلنى فارداً ذراعيه .. ارتمى فيهما .. لاأعرف ان كنت سأضحك أم سأبكى .. لايهم .. المهم أن ينتظرنى ياأمى .. أرجوك

* * *

— ٢٧ —

أمواج البحر لاتكف عن محاولة تسلق رمال الشاطىء دون جدوى .. تلمعٌ تحت ضوء القمر الشاحب .. على الرمال تسير بدرية وحدها الآن وقد استيقظت فى صدرها الهواجس ..

منذ أن انقطعت رسائل مدحت والقلق يأكلها .. ينهش قلبها فتحس بالخوف يتسلل إلى عظامها .. خوف غامض يبعث فى روحها وحشة ..

على احدى الصخور جلست تفكر فى معنى زيارة نجيه لابراهيم كوتة ..

تحاول تفسير الشرود الذى طرأ على الرجل .. لم تفهم منه شيئا .. تكلم قليلا لكنه لم يرو ظمأها لأن تعرف .. لابد أن تعرف منه كل شىء .. لن تسكت .. لن تدعهم يسلبوها حياتها وهى مستسلمة لاتقاوم .. ستسافر وحدها الى مدحت حتى لو رفض كوتة السفر .. لن تنتظر .. لن تقف متفرجة وحياتها تخرج من صدرها .. لن تسمح بهذا أبداً .. أبداً .

— ٢٨ —

اريد أن أعرف من هى نجية بالضبط ياعم ابراهيم .. ماذا تريد منك ؟ .. أين مدحت ؟ .. ماالذى يحدث .. اكاد أجن .. أفهمنى حقيقة مايجرى .. حرام أن تتركونى هكذا لهواجسى .. سأذهب لها ياعم ابراهيم .. لابد أن أذهب لها .. أريد أن أرى مدحت وأعرف منه

لماذا لم أعد أراه .. حياتى تنزف لحظة لحظة وأنا امضغ هنا القلق ..
يقتلنى الانتظار .. لاأطيق الصبر ياعم ابراهيم .. لم اعد احتمل ..
سأسافر ياعم ابراهيم .. سأسافر .

— ٢٩ —

شىء ما فى عينيها .. لا .. بل فى نظرة عينيها لفت انتباهها ..

أحست انها تكاد تسمع دقات قلبها بينما أصبعها على الجرس ..

تصورت كل شىء .. أن يفتح الباب فترى أمامها نجية .. واقفة شامخة متحدية .. أنفها فى السماء .. نظرات عينيها الفاجرة تطردانها .. بره .. لاأحد هنا يريدك ..

تصورتها عينان حنونتان تحاولان أن تتذكرها .. نعم أنت بدرية .. سمعت عنك من كوتة .. تفضلى ياابنتى .. بيتك .. أهلا .. أدخلى ..

تصورتها وجها جامدا بلا أى انفعال يسألها نعم ؟ من تريدين ؟ مدحت ؟ ثم تنادى .. مدحت .. هناك من يسأل عنك .. وتعطيها ظهرها وتنصرف .

انفتح الباب .. أطل وجه مرح لفتاة لاتتجاوز العشرين سألتها عيناها من تكون .. ثم تراجعت تفسح لها لتدخل .. تقدمت بدرية خطوتان وتوقفت .. وجدت نفسها أمام حنان .. ولاحظت أن فى عينيها شىء ما يشدها اليها .. عصرت ذهنها تحاول أن تسمى هذا

الشيء .. لعله رجاء صامت .. توسل .. ضراعة .. أن تعود وتتركها .. تترك لها مدحت ..

ربما كان فزعا من أن تهدم لها حلما عاشت تبنيه لحظة بلحظة وتوشيه بكل مايجعل منه جنة تطوف بروحها فيها تستنشق نسمات السعادة ..

جاءها صوتها ضعيفا يستفسر : تريدين مدحت ؟ .. لحظة واحدة .. مدحت .. مدحت .. واشارت لها .. تفضلي ..

أحست بدرية أنها لاتكرهها لكنها فقط تريد مدحت .. فإذا كانت هي أيضا تريده فعليه هو أن يختار

لكن شيئا ما داخلها راح يوسوس لها أن معركتها لن تكون سهلة ..

— ٣٠ —

هذه المجنونة .. كيف يشرح لها .. يحبها بكل تأكيد ويعلم أن حبها له أمر لم يعد مجالا لأى سؤال الآن .. هو حقيقة ترفض أى شك .

« بدرية .. ومدحت .. الشيء لزوم الشيء »

ويضحك كوتة سعيدا .. يصفق بيديه ويهز رأسه .. ثم يمسح عينيه ..

حبهما قدر .. مدحت يعلم هذا .. وهى أيضاً تعلمه فلماذا الشك يابدرية ..

سأشرح لك .. لن أطيل عذابك .. هل تشكين فيّ .. هل تشكين فى مدحت حبيبك ؟!"

— ٣١ —

بدرية !! ..

فيها من البحر الشىء الكثير ..

عندما تغضب يرى فى نظرة عينيها نوّة الفيضة .. يعرفها جيدا ولايخطئها .. ومن أدرى منه ببدرية .. تتجمع رياح الحسوم فى فمها اذا تكلمت .. لكن لها قلب طفلة عندما تصفو .. ويهدأ كل شىء .. تسطع الشمس فى سمائها وينفتح الأفق ..

ألسطة يابدارة ؟!

ألسطة يادوحة ..

ويرفرف طائر الحب بينهما من جديد ..

النهر يجرى هادئا .. يرتعش لهبات النسيم .. تهتز اوراق الشجر الى جوارها ويطوف حولها أريج الزهور

فى ذلك الكازينو على النيل .. وفى أحد أركانه البعيدة جلسا متواجهين .. فى عينيها تجمع الأنتظار متحفزا لسماعه ..

عليه الآن أن يفسر لها كل هذا الغموض .. لماذا غيابه عن الأسكندرية .. لماذا اقامته عند مدام نشأت .. و .. و .. ولم تتذكر اسمها ..

حنان .. أكمل لها ..

نعم حنان ماعلاقته بها .. ماذا يخبىء الغد لنا يامدحت

.. ماذا تخفى أنت .. احك كل شىء .. لاتخف عن بدرية سراً .. تكلم وتأكد أننى سأفهمك .. لاتحمل الهم وحدك .. أستطيع حمله معك .. تكلم يامدحت .. هذه بدرية أمامك .. من غيرها سيفهمك ؟!

مدّ مدحت يده تمسك يدها .. هذه الاصابع يعرفها جيدا .. رفع كفها الصغيرة أمام عينيه .. ارتعشت رموشها .. لمع فى عينيها بريق الفرحة .. شىء فى داخلها يؤكد لها حب مدحت . لاتدرى من أين لها كل هذه الثقة به .. تحتاج منه تفسيراً لتفهم فقط .. ستصدق كل مايقوله

آه لو يعلم كم تحبه ؟!

— ٣٢ —

لم تكن بدرية تعلم أن حنان مصابة بالشلل .. حبها لمدحت اذن هو تمسك الغريق بمنقذه .. تعلق اليأس بالأمل .. هو الفجر الذى تنتظره بعد الليل الطويل .. عندما تبزغ شمسه ترى الدنيا .. ومن يدرى !!

أدركت بدرية الآن معنى نظرة الضراعة فى عينى حنان .. وأحست أنها لاتكرهها .. لاتخشاها أيضا .. لكنها لا تطمئن لمدام نشأت .

مدحت فى عينيه الصدق .. وهى لاتكذب حكايته .. اذن فالأمر كله مجرد اتفاق بين مدام نشأت ومدحت على تمثيل دور من

أجل مستقبل حنان .. هكذا قال لها مدحت .. توسلت الأم اليه أن يقبل الدور من أجل أن تنهى عذاب وحيدتها .. وفى المقابل ستضع كل ماتملك من امكانيات تحت تصرفه .. ستضع كل خبرتها وثروتها لتقدمه للناس مطربا ناجحاً .. هكذا حكى لها مدحت وهى تصدقه .. لكن ماذنب المسكينة حنان .. ماذنبها – فكرت بدرية – يلقون لها بحبال الأمل لينتشلوها من بئر الألم الذى سقطت فيه .. ليخرجوها الى أرض الحقيقة الصلبة .. تسقط على صخورها .. تتذوق ملحها وتواجه مرارة الواقع ..

لاتفهم بدرية كيف يفكرون .. ولا يعنيها هذا .. كل ماتحسب حسابه وستقاتل من أجله ألا يحاولوا تحطيم حلمها أو حتى مجرد الاقتراب منه !

— ٣٣ —

الدنيا كلها دمية عند قدميه ..

أغمضت عينيها .. حلمت به فى يقظتها ينحنى .. يلتقطها .. يضعها بين يديها ..

رفت ابتسامة متفائلة على شفتيها .. لاتريد أن تصحو من حلمها ..

هزت رأسها فى نشوة ومالت تنام على كفه الممسكة بمسند المقعد عبر صالات المطار .. لاتهمها نظرات الناس من حولها .. لاتحس بهم .. وماذا يهمها منهم .. يكفى أنها هنا مع مدحت ..

لم تعد تخجل من أن يراها الناس فوق مقعد بعجلات يدفعونها أمامهم .. غدا يرونها بينهم .. تمشى .. تجرى .. تضحك .. تقود سيارتها .. يلعب الهواء .. بشعرها .. وهى تخترق شوارع القاهرة .. مدحت الى جوارها فى السيارة .. يتحدثان ..

أفاقت من حلمها أمام صالة السفر ..

هنا ستترك مدحت ..

أحست انها تودع قلبها .. تتركه فى القاهرة .. التفتت تودع مدحت .. لم تقو فى البداية على رفع عينيها اليه .. نظرت الى قدميه .. حذائه .. بنطلونه .. رفعت وجهها اليه ببطء .. مد لها يده مودعا .. وجهه الذى تحبه .. عيناه الحانيتان .. طال الصمت بينهما ..

لوتكلمت لأجهشت بالبكاء .. همت ترفع رأسها نحوه .. انحنى عليها .. مدت ذراعها .. طوقته وطبعت على وجهه قبلة خطفتها بسرعة .. دق قلبها بعنف .. استدارت بسرعة تنكس وجهها فى حجرها .. مضت بها امها داخلة الى الصالة ..

عند الباب وقف مدحت صامتا يتابعها بعينيه

قبل أن تغيب فى زحام المسافرين .. التفتت تلقى عليه نظرة أخيرة ...

— ٣٤ —

سبحان الله ملء البر ...

سبحان الله ملء البحر

اسألك بعزك وبذلى
اسألك بقوتك وضعفى
الله .. الله .. الله ... ياالله ...

تتجاوب فى الساحة أصداء الذكر .. أصوات الذاكرين تملأ المكان بالخشوع .. صوت المؤدى يتماوج تحمله نسمات الفجر .. يطوف حول المئذنة .. يهبط .. يتردد فى ارجاء المكان ..

تهتز الأضواء مع هبات الهواء .. فتزيد المكان رهبة .. وجلالا

تطوف عيناه تعانقان المكان .. دموعه تغشى عينيه .. ترتعش الصورة .. يغيب عنه الصوت فلاتبقى منه إلا همهمات غير مفهومة تطن فى أذنيه .. يتوقف .. ينسحب .. أفكاره تسد عليه كل طريق .. لايريد العودة الى البيت .. ليس فيه الا الصمت والوحشة .. أصبح كل شيء حوله غريبا .. حتى نفسه .. لايكاد يعرفها .. هل هو نفسه ابراهيم كوتة الذى يعرفه .. فنان تصطخب فى صدره النغمة الحبيسة تريد أن تنطلق .. يعيش حياته طولا وعرضا .. الدنيا عنده احساس .. لحن جميل .. عينا امرأة وكاس وصوت شجى يدق على وتر الاحساس .. أين كل هذا الآن .. لاأمل ياابراهيم .. هذه هى النهاية .. حتى مدحت انقطعت أخباره .. نسيك وانتهى الأمر ..

كان مدحت آخر أمل لك .. لكنه ذهب .. بلعته زحمة الحياة .. خدعتك نجية مرتان ياابراهيم .. الأولى فى صميم قلبك والثانية فى مدحت .. أخذته منك لحنان ..

حنان ؟!

وبدرية ؟! .. كيف اواجهك يابدرية .. ماذا بقى عندى أقوله لك .. بدرية .. أنا لم أعد أصلح لشىء .. حاولوا نسيانى .. لن أنساكم لأنه بدونكم لا حياة لى .. لكن حياتكم لن تكون الا من غيرى ..

على السور الحجرى جلس .. وجهه للبحر .. الأمواج لاتتوقف .. رفع عينيه الى القمر .. يطل ويختفى خلف السحاب

مرر كفيه أمام عينيه تحت الضوء الواهن .. هاتان الكفان هل تذكرها ياابراهيم ..؟ قلب كفيه .. أطبقهما .. أرخى ذراعيه الى جواره .. استند بكفيه يلمس برودة الحجر .. تحسست اصابعه الثقوب التى تخلفت فيه .. سنوات طويلة .. طويلة فعلت مافعلت بالحجر .. فكيف بك ياابراهيم بعد هذا العمر تظل تحلم ..

قام يغادر المكان .. قدماه ثقيلتان .. ببطء هبط من فوق الرصيف .. ومضى .. لايدرى الى أين تحمله قدماه !

* * *

— ٣٥ —

مئذنتا المرسى أبو العباس والبوصيرى ذراعان ممتدان فى خشوع الى السماء .. ظالت بينهما النجوى ولفهما صمت التبتل والضراعة .. الطريق الممتد بينهما الى حيث يقيم كوتة خال فى مثل هذه الساعة من الصباح .. أنوار الشوارع مازالت مضاءة ..

ومدحت فى السيارة لايدرى الى أين يذهب وقد طال بحثه عن عم ابراهيم فى كل الأسكندرية دون أن يقع له على أثر .. حتى بدرية اختفت معه ..

هذه الأسكندرية بدون كوتة وبدرية مدينة صماء بلا قلب ولامعنى ..

استوحش المكان .. كل الخيوط التى كانت تربطه به انقلبت قيودا تخنقه .. الحوارى .. الدكاكين .. الناس .. أمواج البحر والمراكب .. الصيادين .. لم يعد لها فى قلبه فجأة كل ماكان لها منذ دقائق ..

ضاق صدره وأحس أنه يكره نفسه والدنيا ..

أدار موتور سيارة نجية وابتعد عن المكان .. أكمل اللفة .. عيناه ماتزالان معلقتان بقبة المسجد ..

القى نظرته الأخيرة على الطريق الذى يعرفه جيدا .. ثم انطلق والخوف يأكل قلبه ..

* * *

— ٣٦ —

غريبا .. يتجول فى الشقة ..

فى البداية قال لنفسه أنه يوما بعد يوم سيتعود الحياة فيها ..

مرت الأيام واحساسه بالغربة فيها لم يتغير .. يزداد ربما .. لكنه أبدا لم يشعر بالألفة نحوها .. حتى قطع الأثاث يحس أنه لايعرفها ..

لم يألفها .. لايحس — ببساطة — أنه فى بيته .. لايعرف من اين يأتيه الخوف .. يشعر بدبيبة يسرى داخله .. رنين التليفون يفزعه .. كالفأر فى المصيدة .. داخله هذا الاحساس لحظة لكنه بسرعة ازاحه بعيدا .. نجية تعامله كما تعامل حنان ..

نعم .. هو يحس بهذا .. كل شيء وضعته تحت تصرفه حتى تعود .. هذا صحيح لكنه أبداً لايحس أنه ينتمى الى هذا المكان .. هل لأن بقاءه فيه مؤقت ؟ ربما .. ربما أيضا لأنه يحس حنينا هائلا نحو بدرية وكوتة .. آه لو يعرف أين هما الآن .. يشتاق لسماع صوت بدرية يسرى فى جسده فتدب فيه الروح .. أين لياليك يا عم كوته والسهر فى ضوء القمر فوق سطوح منزلك .. خلفنا باب غرفتك المفتوح دائما .. بين يديك عودك .. معا ندندن مانحب من ادوار وطقاطيق .. بوجهها الصبوح تهل علينا بدرية نجمة ليالينا الحلوة فتشرق الفرحة فى وجهك المتعب وتزغرد الدنيا فى أذنى فأنتشى وأدعو الله الا أفيق ..

— ٣٧ —

عشرات التفاصيل الصغيرة تتزاحم فى ذاكرته منذ تسلم برقية نجية الحلوانى هذا الصباح .. تذكر اول خطوة خطاها داخل هذا البيت .. بدرية يوم وقفت فى « الهول » تسأل عنه .. حنان .. عيناها تشردان بعيدا تبحثان عن المجهول فى تلك الليلة فى الشرفة .. دموعها ..بتساماتها .. هزة رأسها .. التفاتة وجهها نحوه فجأة ..

شعرها عندما يسيل فوق كتفيها مخفيا تحته بعضا من كنوزها المخبوءة .. تذكر ملمس خدها فوق كفه وهو يودعها فى المطار .. لن ينسى نظرتها له قبل أن تغيب داخل صالة السفر ..

اعاد قراءة البرقية .. « نعود فى الثالثة صباح الغد .. العملية نجحت .. نجية » .

هكذا تنتهى مهمته .. العملية نجحت .. ونجية لابد ستنفذ اتفاقها معه .. أو .. من يضمن ربما حاولت عقد اتفاق جديد .. لكن حنان .. ماذنبها .. هى لاتعلم من اتفاقهما شيئا .. ولن يخبرها مخلوق بما اتفقا عليه ..

فى الموعد كان هناك ..

أمام صالة الوصول وقف مدحت .. عيناه تبحثان بين القادمين عن نجية وحنان .. ترى كيف تبدو الآن بعد أن نجحت الجراحة .. حاول أن يتخيلها تجرى فوق ساقيها لكنه فشل .. لم يستطع حتى أن يتصور طولها واقفة ..

حنان فى عينيه لاتزيد على طفلة يحس بالعطف نحوها ولا يدرى لماذا يتصور انها شقيقته الصغرى يضعها على ركبتيه ويداعبها وتجيبه بشقاوة عينيها وتملأ الدنيا حوله صخباً وصياحا ..

تنبه فجأة على صوت نجيه يناديه .. التفت .. رآها مقبلة عليه .. عيناها تلمعان بالفرحة .. خطواتها قوية واثقة .. مدت يدها تصافحه فى حرارة .. هز يدها بشدة .. لمحت فى عينيه السؤال .. اشارت له بعينيها : هناك .. تطلع إلى حيث اشارت ..

كانت حنان هناك تنهى إجراءات الجمارك .. لم يتمالك نفسه من الدهشة .. صاح بفرحة : حنا آ آ آن .. التفتت نحوه .. رقصت السعادة فى نظرة عينيها .. لوحت له بكفها الصغيرة .. قفزت فى مكانها عدة مرات مشيرة له إلى ساقيها .. فهم مغزى إشارتها .. دبدب بقدمه على الأرض فى قوة .. قلدت أمامه رقصة الفلامنكو وضحكت .. ضحك .. ضحك بعض من شاهدوهما .. انهت اجراءاتها واندفعت تجرى نحوه تكاد تطير .. لم يكن يتخيل انه سيحس بكل هذه السعادة لمجرد أنه رأى حنان تسير فوق ساقيها بدون الكرسى .. فرحة حنان انتقلت منها إليه كما تنتقل النار فى الحطب اليابس .. بين ذراعيه .. القت حنان نفسها .. غابت فى صدره .. سمع نشيجها المكتوم .. مسح فوق شعرها .. رفعت وجهها إليه .. حنان .. كفى بكاء .. هذه لحظات سعادة .. الدنيا كلها سعيدة من أجلك ياحنان .. مدت نجيه يدها إلى حنان .. انتقلت إلى صدرها .. احاطتها بذراعها .. ومضت بها ومن خلفهما مدحت .. التفتت حنان نحوه وهم يغادرون صالة الوصول .. ابتسمت الدموع بين رموشها ، ثم أغمضت عينيها ونامت فوق كتف أمها ..

— ٣٨ —

الحل ؟! أن نواجههم ياعم كوته .. ليس الحل أبدا ما تفعل وأوافقك عليه .. ليس حلا أنك غادرت منزلك حتى لا يعرفوا مكانك .. ولماذا يعرفونه .. أليس من الجائز أن ما نفعله الآن هو كل

مايطلبونه .. نعم .. أن تختفى من حياتهم ليخلص لهم مدحت .. بلا منازع ولا شريك .. اسمعنى يا عم كوته وحاول أن تفهمنى .. أرجوك .. أفق لحظة وكلمنى .. لماذا لا نذهب إليهم .. نكلمهم نسأل مدحت عما ينتويه .. نفهم منه يا عم كوته والأرزاق على الله . أبدا لن نعرض أنفسنا على أحد .. كرامتنا أغلى من كل الوجود .. أليس هذا ما علمتنا .. لا تنظر الىّ هكذا .. نعم ومدحت أيضا .. قابله وكلمة ياعم كوته .. سأكون معك .. اسأله .. ربما تجد شخصا آخر غير مدحت الذى ربيت .. ربما يكون فى أشد لحظات احتياجه إليك وأنت تخفى نفسك عنه .. قد يذكر أن له هنا عشاً ينتظره .. نعم ياعم إبراهيم هو فى قلبى مازال .

ماذا قلت أيها العجوز الطيب ؟ .. امسح هذه الدموع وقل لى ماذا قررت ؟؟

— ٢٩

نعم .. هو بعينه ابراهيم كوتة يا حسن .. أتذكر ؟ .. كوتة الذى لولاه لما كنت أنت اليوم هنا فى هذه الفيلا .. كوته ساكن السطوح أمامك الآن فى هذه الردهة .. من فوقه هذه النجفة الضخمة وحوله كل هذا الأثاث ..

أدار عينيه تمسحان المكان .. كل شىء من حوله يشى بالثراء الباذخ .. وقعت عيناه على البيانو فى طرف الهول .. لم يستطع أن يمنع نفسه .. توجه نحوه .. ما زلت تحتفظ به يا عاشور .. لماذا ؟! أمازلت تذكر ؟ .. هل نسيت ؟ .. كانت نجية تحفظ عليه أغانيها ..

الحانى ياحسن .. أتذكر يوم أن رأيتها معى أول مرة ؟ .. أتذكر ماذا قلت عنها .. كيف صرعك جمالها .. سألتك أن تبتعد عنها .. لأنى أعرفك يا عاشور .. لكننى صدقتك .. ما علينا يا أبا على .. مالى أصدع رأسك بحكايات عجوز مخرف لن يصدقه أحد ..

استدار إبراهيم كوته إلى البيانو وانحنى فوقه يعزف .. غامت عينا حسن عاشور .. لا يكاد يصدق ..

كوته هنا .. يعزف على البيانو القديم فى فيلتى .. هذه الأغنية بالذات .. لاشك أننى أحلم ..

توقف العزف ..

أشاح حسن عاشور بوجهه يخفى دموعه ..

امتدت يده إلى جيب الروب تخرج المنديل ..

رفعها إلى عينيه

كان كوته فى مواجهته تماما

تجمعت فى عينيه كل قسوة السنين ..

إبك يا عاشور فكم بكيت أنا وحيدا فى غرفتى ..

ضاعت سنين شبابى .. نزفتها لحظة لحظة ولم يشعر بحزنى أحد ..

كنت قويا فى نظركم كما تصورتم تماما ..

لكننى كنت أنزف .. كالحيوان الجريح أعوى داخل غرفتى وليالى الشتاء الموحشة تعربد فى الخارج .. إبك ياعاشور .. إبك .. لعلك تعرف معنى الألم .. وقسوة الظلم .. سأتركك الآن

ياعاشور .. وحدك تواجه الماضى ..

تسألنى لماذا جئت بعد كل هذه السنين .. جئت أقول أن إبراهيم كوته مازال يعيش لأننى نفسى خفت عليه أن يموت .. أتفهم ياعاشور .. مازال يعيش !

— ٤٠ —

صوته يحملها فوق أجنحته .. يرفرف بها عاليا .. تلمس باصابعها السحاب .. تطوف فوق كل بساتين الدنيا ..

فى البروفات جلست تستمع وتراقب .. ركبت أحد الكراسى واسندت ذقنها إلى ظهره .. تحس أنها أخف حركة ببلوزتها ال تى شيرت وبنطلونها الجينز .. عيناها لاتفارقاه .. تفهمه دون أن يتكلم .. وما حاجته للكلام وهى هنا معه .. كوب الماء قبل أن يطلبه تكون قد قفزت وأحضرته .. حتى ساندويتشات العشاء كانت قد أعدتها بيديها من أجله .. أخذته من يده بعد البروفة الى أقرب اريكة .. أجلسته وراحت تجفف له عرقه .. أسندت رأسه الى ساقها .. خلع حذاءه ومدد ساقيه .. أغمض عينيه ونام كالطفل ..

كمن يحلم .. أحس بيدها تمسح فوق شعره .. ماذا تريد هذه الفتاة ؟ — سأل نفسه — وهى لابد تفهم مابينى وبين بدرية ..

ليالى طويلة لم تفارقه تسهر معه حتى الساعات الأولى من الصباح تراجع معه كلمات الأغانى تشترك .. تهتم .. تناقش .. تعجبه ملاحظاتها .. مبتسمة دائما .. سعيدة دائما ..

ياعاشور .. وحدك تواجه الماضى ..

تسألنى لماذا جئت بعد كل هذه السنين .. جئت أقول أن إبراهيم كوته مازال يعيش لأننى نفسى خفت عليه أن يموت .. أتفهم ياعاشور .. مازال يعيش !

— ٤٠ —

صوته يحملها فوق أجنحته .. يرفرف بها عاليا .. تلمس باصابعها السحاب .. تطوف فوق كل بساتين الدنيا ..

فى البروفات جلست تستمع وتراقب .. ركبت أحد الكراسى واسندت ذقنها إلى ظهره .. تحس أنها أخف حركة ببلوزتها ال تى شيرت وبنطلونها الجينز .. عيناها لاتفارقاه .. تفهمه دون أن يتكلم .. وما حاجته للكلام وهى هنا معه .. كوب الماء قبل أن يطلبه تكون قد قفزت وأحضرته .. حتى ساندويتشات العشاء كانت قد أعدتها بيديها من أجله .. أخذته من يده بعد البروفة الى أقرب اريكة .. أجلسته وراحت تجفف له عرقه .. أسندت رأسه الى ساقها .. خلع حذاءه ومدد ساقيه .. أغمض عينيه ونام كالطفل ..

كمن يحلم .. أحس بيدها تمسح فوق شعره .. ماذا تريد هذه الفتاة ؟ – سأل نفسه – وهى لابد تفهم مابينى وبين بدرية ..

ليالى طويلة لم تفارقه تسهر معه حتى الساعات الأولى من الصباح تراجع معه كلمات الأغانى تشترك .. تهتم .. تناقش .. تعجبه ملاحظاتها .. مبتسمة دائما .. سعيدة دائما ..

فى عينى كوتة لمحت جواب سؤالها ..

كأنك ياعم كوتة تعرف كل شىء ..

نعم أنت تعرف كل شىء حتى أدق خلجات نفسى .. حتى دقات قلبى تعرفها

أراح كوتة كفيه العريضتين فوق كتفيها .. أراحت رأسها المتعب لحظة على صدره ثم مضت معه الى داخل المسرح ..

— ٤٢ —

رغم زحام الناس استطاعت أن تلمحه .. وجهه الذى تحبه .. عيناه اللتان تعرفهما .. تعرف كل نظرة فيهما .. كل لمحة .. تعرف متى تفرح .. متى تغضب .. متى تتخابث أو تمكر .. عيناه كتاب مفتوح أمامها تقرأ فيه ..

كان الارهاق واضحا على وجهه .. تعرفه عندما يكون مرهقا .. تحفظ كل كلامه .. لوكانت معه الآن لقال لها كعادته : اريد أن أنام سنة يابدارة .. ويضحك .. تحب اسمها فى فمه .. تضحك .. وجهه الذى تحبه يغيب وسط زحمة المحيطين به .. من خلفه رأت نجية وحنان تتبعانه كظلة .. حنان فى عينيها فرحة لاتخطئها عين .. ونجية صانعة هذا النجاح تبتسم للناس فى ثقة ..وهو يشق طريقه نحو السيارة يرد تحية مهنئيه بابتسامة تعرف أنها ليست من قلبه .. فى عينيه ومضة ألم تعرفها جيدا ..احست بقبضة قوية تهصر قلبها .. ودت لو تصرخ ألماً من أجله .. ترددت .. هل تناديه ؟ ..

لحظات أحست بها عمرا طويلا .. تدافعت الصور أمام عينيها .. كل شيء تذكرته فى لحظة .. كل شيء بلا ترتيب .. الاسكندرية .. الكازينو .. الانفوشي .. القمر .. شاطيء البحر .. السطوح .. شقة نجية .. المسرح .. كوتة ..

طفرت من عينيها الدموع .. أحست بالاختناق .. لو ظلت فى مكانها لحظة أخرى لسقطت ميتة .. تلفتت حولها تبحث عن كوتة .. كان يقف خلفها .. على حافة الظلام يرتعش وجهه .. يمسح دمعة جرت على خده .. لاتدرى ان كانت فرحاً أو ألما تقابلت عيناهما : هذا مدحت ياعم كوتة .. هز العجوز رأسه .. تمتم : مدحت .. مالنا نحن ومدحت يا ابنتى .. وخطا داخلا دائرة الضوء يشد بدرية بعيدا ..

كالومضة .. كضوء البرق عندما يلمع ويختفى التقت عين مدحت به .. انتقلت عيناه الى بدرية بجانبه .. دون أن يحس هتف مدحت : عم كوتة

تطلعت كل العيون الى حيث ينظر

كان كوتة قد أوغل فى الظلام تتبعه بدرية فى استكانة

توقفت فجاة كل المشاهد والرؤى فى عينى مدحت .. سقطت كل الأشياء والصور من حوله .. سكتت كل حركة .. سكتت كل الأصوات .. تحول عالمه فى لحظة الى طريق يشده خلف كوتة وبدرية ...

اخترق مدحت الاجسام من حوله وأفسح لنفسه طريقا

خلال الدائرة المحيطة به وانطلق خلف شبحين ذابا منه فى جوف الليل المظلم .. التفتت حنان فى فزع الى نجية .. وهمت بالانطلاق خلفه لكن قبضة نجية القوية كانت أسرع اليها .. امسكت بها الى جوارها ..

كان كوتة وبدرية قد ابتلعهما حضن الليل ..

صرخ مدحت : بدرية ..

لكن يسمع جوابا لندائه ..

توقف لحظة حائرا لايدرى إن كان يحلم ..

التفت الدائرة حوله تبتلعه من جديد ..

القى مدحت بجسمه داخل السيارة عيناه مازالتا تحملقان خارج نافذتها تفتشان فى وجوه الناس عن بدرية وكوتة ..

جلست حنان الى جواره صامته لاتعرف ماذا تفعل .. اشارت نجيه للسائق فانطلقت العربة تغوص فى الظلام ..

تومض على جانبى الطريق بعض الأضواء وتختفى .. تقترب وتبتعد الوجوه .. يبحث فيها مدحت عن وجهين يعرفهما دون أن يقع لهما على أثر .. استقر سكين الحزن داخل قلبه .. القى رأسه على مسند المقعد .. غطى وجهه بكفيه وراح يبكى فى صمت ....

(تمت)

الرغبة فى الضحك

سامى فريد

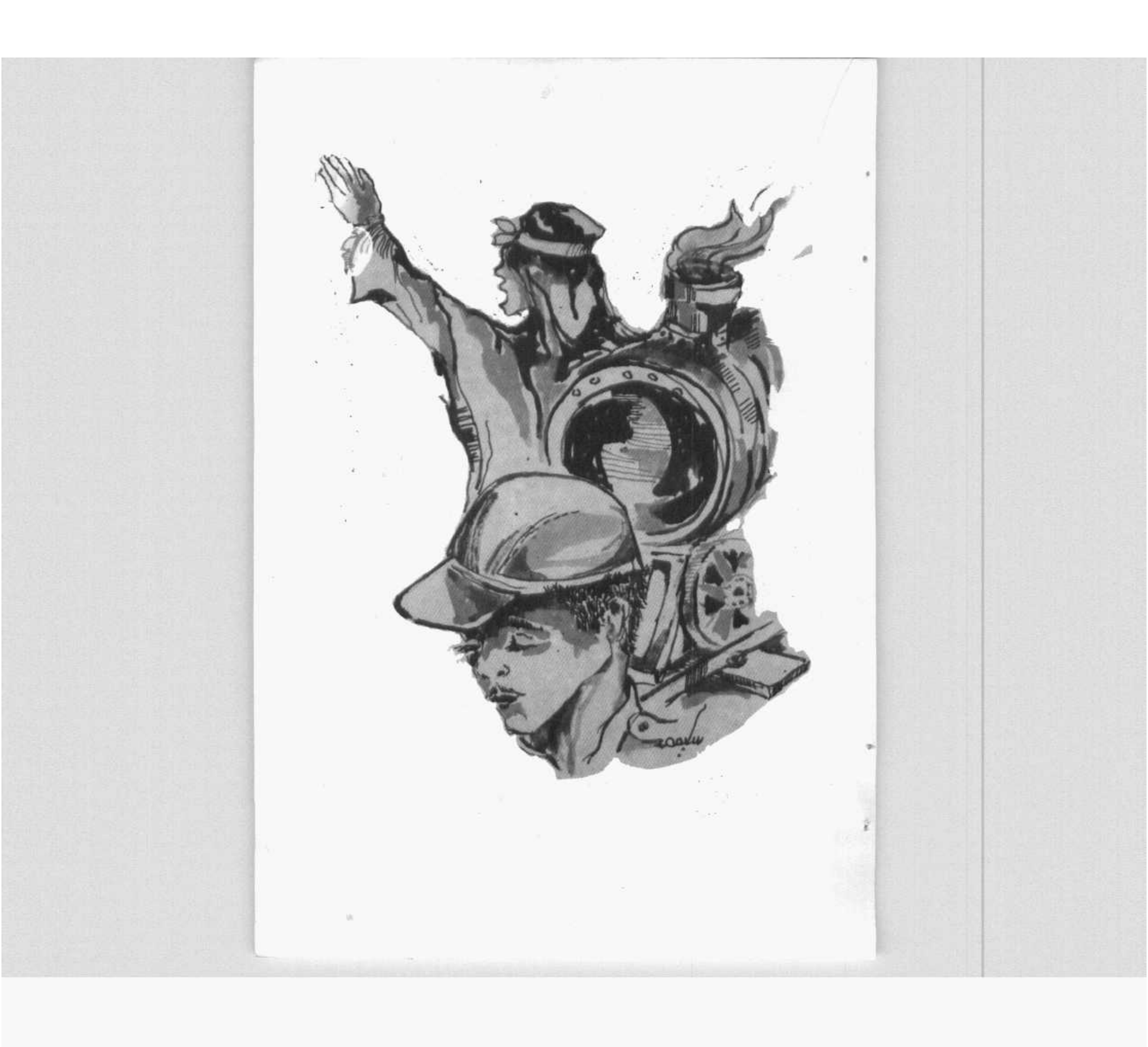
لم يكن القطار قد غادر المحطة بعد ..
كان مايزال الى جوار الرصيف .. كيانا هائلا من حديد وجبروت .. يزفر .. ويهتز ..
أطل الفتى من النافذة .. نحيلا كان .. على وجهة آثار مرض جلدى قديم .. عارى الرأس .. حليق الشعر .. فى عينيه طيبة .. وحيرة ..
على الرصيف كانت .. وسط الزحام عجوز تبكى .. تلطم خديها .. وتبكى .. تدق صدرها وتبكى .. إلى جوارها وقف الرجل مفرود القامة .. وجهه لوحته الشمس .. تقلصت ملامحه بينما قبضت كفه على ذراع المرأة تهزها فى عنف فى حين تعلقت عيناها بنافذة القطار فلم تشعر بما يدور حولها ..
على البعد .. خلفها .. كانت فى الزحام صبية تقف .. تتوارى .. تخاف أن تلمحها عين .. جميلة كانت وريّانة.. كيان صغير برىء يرقب المشهد بقلب ينتفض كحمامة مذبوحة .. رفعت الصبية طرف طرحتها تمسح دموعها فى صمت حزين .. مُستسلم .. صابر ..
من النافذة الى جوار الفتى كانت الرءوس محشورة تطل .. يتزاحمون .. يتدافعون وكلهم عيون تطل وأياد تلوّح .. يثرثرون .. ينادون .. يضحكون .. والفتى ساكت ينظر .. يجاهد ليبقى فى النافذة ويستميت حتى لايتزحزح عنها .. نظراته موزعة بين المرأة .. والرجل .. والصبية .. لايريد أن يغيبوا عن عينيه ..

زفر القطار زفرة عالية مبحوحة .. مهدودة الحيل واهتز ارتفعت الذراع ثم دارت نصف دورة إلى الأمام واندفعت باطشة لتهوى مستسلمة ثم تنسحب للخلف تستريح فتدور العجلات دورة كاملة وتسكت ..

زعقت صفارة القطار محذرة « سأمشى » .. أحست بها المرأة تنوح معها على فراق الولد .. دارت العجلات دورة .. ودورتان .. وثلاث وارتفعت دقاتها على القضيب الحديدى اللامع فى رتابة تؤكد إنها جادة فى الرحيل ..

تذكر الفتى دقات أمه على صدرها بينما هم يحملون شقيقه الأكبر إلى الجبانة غربى البلد تحت صهد النهار وسحابات الغبار تثور تحت اقدامهم .. كان يسير خلفها محكما قبضة كفه الصغير حول ذيل جلبابها الأسود فى حين راحت هى تؤدى طقوس حزنها الغريبة .. ترفع كفيها نحو المساء مفتوحتا الأصابع ثم تهوى بهما فوق رأسها فتتراجع طرحتها وينكشف شعرها .. مرات قليلة هى التى رأى فيها شعرها .. مايزال يظن أن شعر المرأة عورة يجب الا يراها مخلوق .. تكور أمه قبضتيها وتدق بهما فوق صدرها .. تلطم فخذيها ووجهها ويلهث هو خلفها يكاد ينكفىء على وجهه ..

على وجهه تدحرجت دمعتان خجلتان وانزلقتا فوق خديه .. غامت عيناه فاهتزت صورهم أمامه .. تداخلت المرئيات وسد الطنين أذنيه .. للحظة راودته فكرة أن يقفز اليهم من النافذة .. هز



رأسه يطرد الفكرة والخوف من العقاب يهدده . تذكر حديث العمدة لأبيه عنه .. سمع فى كلامهم شيئا عن مصر والجيش .. ظل حديث ليالى البلد كلها فترة من الزمن وموضوعها لحكايات المصاطب تحت ضوء الفوانيس أو نور القمر ..

فوق إحدى المصاطب قد يميل رأس نحو آخر .. يرشف من كوب الشاى الاسود فى يده رشفة متلذذة ليقول : آى والنبى زى ماباقول لك .. جاله الاخطار م البندر .. آنى ماشفتوش لأ .. لكن الغفير قال إنه مُتخلف كان وضرورى يسلم نفسه ..

قد يتدخل ثالث متصعبا : ياسلام ياولاد .. حقيقى الزمن بيجرى .. بقى ابن إمبارح ده رايح الجيش !!

تحت جميزة أو توتة خارج البلد قد تلتف مجموعة من الشباب حول شيخ يحكى لهم : إيه رأيكم آنى لفيت بر الشام ده كله بلد بلد مع السلطة ..

يدور بعينيه فيهم يقرأ وقع كلامه على احاسيسهم الطفلة .. يؤكد لهم : أمّال .. كنا رجاله ياولاد [ينفخ صدره] .. بس كنا غلابة ياولداه [يطرق فى الأرض] لاقدامنا ولا ورانا .. وإنت [يضع كفه العريضة فوق كتفه] لازم تكون راجل فى مصر .. فاهم ؟ ..

يهز رأسه موافقا ...

◦ ◦ ◦

رفع كفه الخشنة ومسح دموعه من تحت عينيه ..

« ابنى !! »

صرخت المرأة ..

كان القطار يجر ذيله من جوار الرصيف دافعا رأسه للأمام خارج المحطة متسحباً ببطء .. متأهبا للانطلاق فى كل لحظة ..

أسرع القطار

رفع الشيخ يده مودعا

أسرع

تقدمت الصبية خطوة .. خطوتان .. توقفت .. رفعت طرحتها إلى عينيها .. أنزلتها بسرعة .. لاتريد أن تفوتها لحظة من وجهه .. القت عليه نظرة بطيئة متأملة متأنية .. حصرته فيها .. ضغطته فى ننى عينيها .. انزلته فى قلبها واغلقته عليه .. استدارت عائدة .. انقبض قلبه .. مد ذراعه خارج النافذة يشير لها لتنتظر .. اعطته ظهرها ومضت .. تمنى فى قلبه لو التفتت مرة واحدة فقط .. أحس بالهم يرزح فوق قلبه .. وحط عليه يأس لم يجربه قبل اللحظة .. مالت الرءوس كلها دفعة واحدة وتزاحمت تطل تريد أن تلقى نظرتها الأخيرة على كل شيء قبل أن يبتلعهم المجهول .. لم يبق من وجه الفتى سوى جزء صغير شاحب وسط الوجوه لكنه يراهم .. عند نهاية الرصيف استدارت الصبية .. خفق قلبه .. ملأ

عينيه منها .. على اتساعهما يحتويها فى عينيه .. فتح فمه .. أراد أن يقول شيئا .. همسه لنفسه .. لم يسمعه أحد .. بحثت هى عن وجهه بين الوجوه .. لم تستطع العثور عليه .. وجوه كثيرة صفراء وسمراء وبيضاء .. حواجب وأنوف وآذان وعيون .. عيون .. عيون .. وأذرع تلوّح وأكف تمسك بحديد النوافذ .. دققت نظرها فى الوجوه تفتش عن الوجه الذى تعرفه بينهم .. لم تجده .. بحثت عن عينيه .. عسليتان .. طيبتان .. تعرفهما .. فيهما لها كلام كثير .. لم تجدهما ..

كان القطار قد أدار ظهره للبلدة ومضى منطلقا .. جباراً .. لا يعرف الرحمة .. لايفهم ولايحس .. يلملم ضجته خلفه ويبتعد .. يسحب قلبها معه .. ينزعه من صدرها .. يسيل المر داخلها .. يسقط قطرة .. قطرة فى جوفها .. تحس طعمه على لسانها وفى عينيها وداخل كل مسام روحها .. تمد ذراعها إلى الحائط بجوارها .. الدموع فى عينيها لاتريد أن تسقط .. عند المنحنى البعيد يتلوى القطار كالثعبان الأسود ثم ينطلق صارخا .. تسمع صرخته فيرتجف كيانها كله .. يغوص فى خضرة الحقول وزرقة المساء كتلة باردة تهتك المجهول ولا تتوقف ..

أشباح بعض الأيادى مازالت على البعد تلوحّ ورءوس تطل .. تبتعد المحطة .. يبتعد القطار .. تبتعد .. يبتعد .. يتحول كتلة سوداء عند الأفق تفقد معناها وتترك فى القلوب المرارة .

شخصت المرأة بعينيها إلى الأفق البعيد .. فى جوف القطار يجلس ولدها أو يقف .. يطوى القطار حديده عليه .. يخطفه منها ويجرى .. الخائن يسرع به إلى حيث لاتعلم .. لاتعلم أيضا كيف سينام قبل أن تطل عليه .. تنحنى فوقه تغطيه .. تمسح بيدها فوق جبهته وشعره .. يمديده يخطف يدها يقبلها وتسرح عيناه فى سقف الدار .. لا تعلم ماذا سيأكل .. من بيده سيعد له طعامه .. من سينادى عليه كل صباح ليصحو .. يفتح عينيه الجميلتين .. يبتسم .. كالطفل يتثاءب .. تنهره متصنعة الشده لينهض .. يقفز يقبلها ويطلب منها الدعاء .. كالماء يتسرب كل هذا من بين أصابعها .. تكوم حزنها فوق قلبها وتستدير عائدة .. إلى جوارها الرجل لايفتح فمه .. هؤلاء الرجال قلوبهم قوية .. يحتملون مالا تحتمل النساء .. هكذا قدرها لا حيلة لها .. عيون الرجل تحدق فى لاشىء .. جامدة .. تعلم أنه يحبه ولا يقوى على فراقه فى شيخوخته لكنه عنيد لايستسلم بسهولة ..

* * *

وحدها وقفت فوق الرصيف .. مضى الكل من حولها وتفرقوا وانتهى كل شىء كأن لم يكن أبداً .. هل كان كابوساً وانزاح ؟! .. مطلقا فالكابوس فوق قلبها جاثم مايزال .. وهو .. هو سافر .. أخذوه منها .. لكنها تعلم أنه سيعود .. شىء داخلها يقول لها إنه سيعود .. وسيحكى لها .. وستسمع له .. صوته الصافى يترقرق فى

أذنيها .. أنفاسه تلفح وجهها كنسيم الصبح المغسول بالندى .. تجمعت الدموع فى عينيها .. غلبتها دموعها .. رفعت كفها إلى فمها واسرعت تغادر المحطة .. هبطت الدرجات الثلاث .. وعند نهاية السور انطلقت تعدو فوق الطريق الترابى الداخل إلى البلد ..

* * *

أطرقت بوجهها تنظر إلى صفحة الماء .. قالت دون أن ترفع وجهها أنها لم تكن تريد أكثر من أن تقول له كلمة واحدة قبل أن يسافر .. أضافت فى حزن حقيقى انها لم تستطع .. سكتت .. مدت كفها ترش الماء .. شردت نظراتها تفكر فيه .. كفه الكبيرة تحتضن كفها الصغيرة .. تستكين فى يده لحظة ثم تسحبها بسرعة وتتلفت حولها فى خوف ..

يسألها فى لهفة : خايفة ؟!

قلبه يدق بالحب

قلبها هى يدق بالحب .. والخوف

يهمس لها : تتجوزينى يابت ؟!

يخفت كل شىء حولها .. تعانق نظراتها الحقول حولها .. يتحول المشهد حلما تتفتح فيه كل نوارات الحقول .. يهز الشجر اوراقه يشاركها فرحتها .. اولادها يجرون أمامها .. دجاجاتها تسرح

أمام باب الدار وخبزها فى الفرن يبعث رائحته تملأ دارها بالخير تنتظر الرجل عندما يعود ..

مدت ساقها فى الماء .. عمودان من المرمر الدافىء يحتضنهما الماء ويدور حولهما فى نعومة يتحسسهما برفق ..

رفعت رأسها .. نظرت فى عيون البنات حولها وقالت منتشية انها فى الحقيقة كانت تريد أن تقول له كلاما كثيرا .. كثيرا .. لكنها لا .. لا تقوى أن ترفع عينيها فى عينيه ..

زفرت فى حرقة فتنهدت البنات وارتفعت ضحكاتهن .. مالت تملأ حفنتيها من الماء ودارت تطسهن حتى يتوقفن عن الضحك .. نهضت متعجلة تمسح كفيها فى ذيل ثوبها .. وانطلقت تطاردهن ..

* * *

...وآه من الغربة

سكين تغوص فى احشائه وتتلوى داخلها ..

وحش جبار لايرحم يتربص بالأنسان الوحيد وينقض عليه ينهش قلبه ..

طعم الدموع فى فمه لكن البكاء لايليق بالرجال .. طافت برأسه صورتها تقطع حوارى البلد .. تسير بمفردها على الجسر ..

تعدو مع البنات تدوس باقدامها الصغيرة زهرات البرسيم .. يقطع عليها الطريق .. تجفل كحيوان خائف .. تنتفض بين يديه تبحث عن مهرب وتنفلت هاربة .. تذكر أمه بجلبابها الداخلى وقد شمرت اكمامها وتربعت أمام الفرن والعيش يخرج على يديها اقمارا وردية الخدود تفوح منها رائحة البلد .. رائحة يشمها فى كل بيوت الفلاحين وتهدأ لها نفسه ..

فى مكانه .. تذكر أن الغد موعد الرية الثانية للأرض ويوم الجمعة كان اتفاقه لأخذ البقرة الجديدة للعشار فى السوق .. قال لنفسه .. لابد أن أمه الآن تضع الشاى أمام أبيه والبلد كلها نفس واحد بعد أن طرحت عن نفسها عماء الليل .. واستيقظت بيوتها وحيواناتها وطيورها ..

اغمض عينيه كمن يحلم .. هى أيضا لعلها الآن أمام باب الدار ترسل دجاجاتها تخرج للخلاء .

هب كالملسوع على اسمه فى النداء

صرخ كما يصرخون « افندى ى ى م ! »

لكنها خرجت مرعوشة .. خائفة .. باغتها النداء فسمعها مبحوحة تصدر من حلقه الجاف ..

نعم .. الاسم اسمه ..وهذا اسم أبيه يعرفه . واسم جده كذلك .. يرحمه الله .. كان رجلا مازالت البلد كلها تذكره للآن وتترحم عليه .. يقولون ان فيه منه شبه .. لكن المؤكد أنه لم يجلس

مثله القرفصاء فى طابور طويل الآن يتوقع فى كل لحظة جديدا لايألفه ولايعرفه ويحتار كيف يتعامل معه .. الدنيا هنا غريبة عنه .. ينفر منها ولا تريد البوح باسرارها طواعية ..

سمع اسمه كما سمع اسماء الآخرين .. أحسن بالحب نحوهم .. كل هذه الاسماء من كل مكان فى مصر .. أرض الله .. وناس .. أمم من كل مكان كلهم مثله وفيهم أيضا من يخافون مثله لكن ينكرون خوفهم يبلعونه كطعام خبيث لايجرؤون على تقيؤه ..

اسمه هنا يسمعه غريبا .. وقعة على أذنيه لايعرفه كأنه ليس اسمه .. هنا هو شيء منفصل تماما عنه ..

قام يجرى الى أول الطابور

ــ مِدّ

مَدّ

ــ اجرّ

جرى

أمام صف الضابط وقف .. انفاسه تهرب منه

ــ اسمك ؟

تسارعت دقات قلبه .. ريقه جاف .. ردد الاسم دون احساس وأحس كأنه يخون نفسه واسم ابيه وجده .. لم يعد يحس نحوه بنفس المودة والألفة التى كان يحسها لاسمه دون أن يدرى .. شعور جديد لم يجربه قبل اللحظة ..

ــ اللى بعده ..

انضم للتشكيل .. اصطفوا جميعا فى طوابير طويلة،صرخ فيهم صوت يأمرهم :

ــ صفا

يجمع فيها كل قوته

ــ انتباه

حادة كالمدية

ــ لليمين دررر

لليمين داورا

ــ للشمال دررر

للشمال داروا

ــ قف

تخشبوا

لايدرى من أين خرج الصوت .. تسلل من مكان ما فى الطابور كلسان الأفعى يتحسس الهواء

« ماترسى بنا على برّ ياعم .. يمين دور ولاّ شمال دور »

كالنبات الشيطانى فى الأرض البور نبتت الضحكة .. فلقت قشرة الأرض وسرحت زهورها تفرش كل مكان .

كالقدم الغليظة تهوى فوقها تهرسها مرة واحدة .. ماتت الضحكة على شفاههم ..
وقف بينهم مشلول الضحكة لايعرف لماذا ضحك ثم لماذا سكت
— إنت ياعيل .. إنت .. بتضحك ليه ؟

— ......

— أيوه إنت .. بتضحك ليه ؟

— آنى موش عيل

— إنت مرة !

ثم على صدغه هوت الكف الغليظة
فى عيون الرجلين راحت غيوم الغضب تتجمع وتتكاثر ..
غضبه هو ممزوج بخوف غريب لم يألفه .. بدأ يتسلل داخلا إلى روحه .. ينتشر فيها كالسم .. يسرى بطيئا حتى يستولى عليه فيصيبه بالشلل والموات ..
خوفه قبل هذه اللحظة كان خوفا عبيطا .. الآن فقط يدرك هذا .. خوف طفولى من نوع مختلف لو استطاع لسخر من نفسه الآن وقهقه ضاحكا .. كان يخاف الليل وأولاد الليل .. يخاف نظرة أبيه الصارمه ..وأمه حين تكشف رأسها وتعرى صدرها تدق عليه ووجهها للقبلة تهدد بالدعاء عليه فيرتمى تحت قدميها ضارعا ألا تفعل ..

خوفه هذه المرة مختلف .. يحسه خبيثا .. لايعرف سببه ولايستطيع تحديد مصدره .. لايستطيع أن يمسكه فى يده ..

نزلت الكف الغليظة على صدغه فاحس ارتطام اللحم باللحم .. وعظام الأصابع تنفذ الى عظام وجهه ..

اندفع الدم حاراً من انفه وسال على شعيرات شاربه النابتة ثم تلوى خطاً قانيا لزجاً هابطا من شفته العليا إلى فمه فاحس على لسانه طعمه الملحى الصدىء ..

تجمعت دمعتان كبيرتان فى عينيه .. أحس ضعفه ورأى نفسه عاريا أمامهم .. سقط الطفل من عينيه أمامه ثم قام من سقطته وركض هاربا ..

تدحرجت الدمعتان فوق خديه فمدّ أصابعه المرتعشة تمسحهما .. فى كفه اختلطت دموعه بدمه النازف من أنفه .

ـــ انتباه ..

خيم على الطابور كله وجوم صامت مقبض

ـــ معتادان .. مارش ..

* * *

الناس والأشياء فى غبشة الفجر أشباح مهزوزة تتحرك بعيدا عنه لايستطيع التمييز بينها ..

انطلقت العربة بهم تخترق الشوراع الخالية حتى خرجت إلى الخلاء وراحت تقطع طريقا طويلا لايعرفها .. البيوت على البعد عامرة تشغى بالحياة وتتردد داخلها أنفاس ليل قلق وصباح ممتلىء بالتفاؤل ..

اسند ظهره إلى حديد العربة وقرفص ساقيه أمام صدره مستسلماً لاهتزازات العربة .. فجأة اقتحمت الضحكة سمعه .. انطلقت من مكان لايعرفه .. اصابته .. مال بجسمه فوق حديد العربة المهتزة يبحث عن مصدرها ..

كان قرص الشمس قد بدأ يطل برأسه كرة صفراء عفية استردت قوتها بعد رحلة ليل طويلة مجهدة ..

ملأ رئتيه من نسيم الصبح الرطب الطرى وابتسم .. ارتكن إلى السور الحديدى يريح ظهره بينما كان النور الزاحف فى اصرار يمتد شيئا فشيئا يتسلق الأشجار ويفرش الأرض ويصعد حوائط المبانى يكنس أمامه الظلمة الخائرة ويفيض فيغمر بدفئه كل شىء ..

فتح عينيه على اتساعهما يرقب المشهد حوله بفرحة .. راحت فرحته تنمو داخلة .. يحس بها تستيقظ وتتمطى .. هب واقفا على قدميه وقفز يتعلق بالقضيب الحديدى فى سقف العربة المكشوف يعب بعينيه كل مايراه مسلماً نفسه لنوبة من الضحك لم يستطع منعها بينما راحت العربة تهدر فى الخلاء المفتوح تحت النور دون توقف .

● ● صدر للمؤلف :

● حياة جديدة

رواية من الأدب النيجيرى الحديث (مترجمة) للكاتب النيجيرى سيبيريان اكوينزى .

● ● تحت الطبع :

● تأملات على سور حجرى

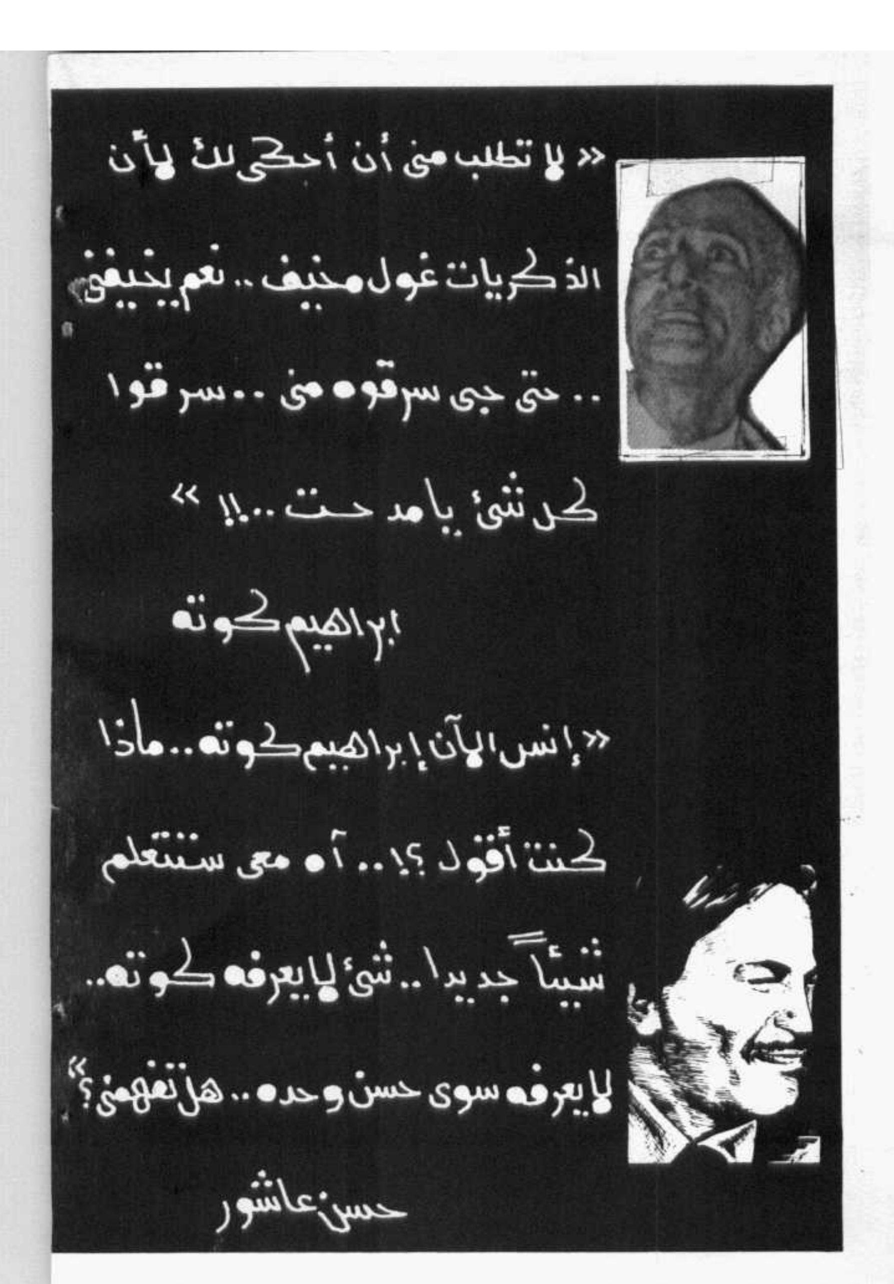
مجموعة قصص قصيرة

● خرابيش على الورق

لوحات من الأدب الفكاهى الساخر .

● عبر النهر .. وخلال الغابة

مجموعة مترجمة من أروع القصص العالمية لأشخاص كتابها من كل الجنسيات


« لا تطلب مني أن أحكي لك لأن
الذكريات غول مخيف .. نعم يخيفني
.. حتى حبي سرقوه مني .. سرقوا
كل شئ يا مدحت ..!! »
إبراهيم كوته
« إنس الآن إبراهيم كوته .. ماذا
كنت أقول ؟! .. آه معي ستتعلم
شيئاً جديداً .. شئ لا يعرفه كوته ..
لا يعرفه سوى حسن وحده .. هل تفهمني ؟ »
حسن عاشور


«حياتى تنزف لحظـــة..
لحظة.. وأنـــا هـنا
أمضغ القلق يقتلنى الانتظار..
لا أطيق الصبر يا عم ابراهيم..
لم أعد أحتمل.. سأسافر..»
بدرية رأفت
هل تسألنى عن ابراهيم كوته؟!
اسأله هو عن نجية الحلوانى..
ألم يحدثك يوما عنى.. أنا نجية.. نعم»
نجية الحلوانى

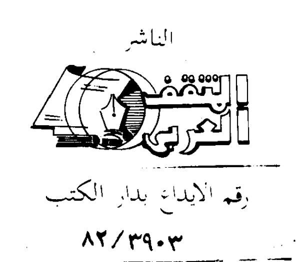
«سافر بأحلامى .. نرقص معا
تحت أشجار النخيل فى ضوء
القمر فى أكابولكو .. يسبح
بنا جندول فى ڤينيسيا ...
نركض معا حفاة الأقدام على
شاطئ الريڤييرا .. نسير معى .. ذراعك
تحتضننى فى الهايد بارك .. تدور بى فى
رقصة مجنونة على إيقاع الكاريوكا ..»

حنان نشأت



هذه المجنونة كيف يشرح لها..؟!
يحـــ ها بكل
تـــأكيد..
ويعلم أن حبها
له أمر لـم
يعد مجـالاً
لأى سـؤال
الآن ولكن..»
مدحت فريد

الناشر



رقم الايداع بدار الكتب

٨٢/٣٩٠٣

مصنع القاهرة للظروف والطباعة